النساء فقدن عروشهن

تأليف

محمود القلينى

مكتبة الإيمان - بالمنصورة

رقم الإيداع : ١١٥٤١ / ٢٠٠٦
الترقيم الدولي : ٥ - ٣٤١ - ٢٩٠ - ٩٧٧



المقدمة

هل كان هناك عرش للمرأة فيما مضى ؟

التاريخ ـ الذى كتبه الرجل ـ يخبرنا أن المرات التى كان للنساء عرشٌ قليلة ونادرة ، وبقية تاريخها مستعبدةً ، وأنها أمرٌ من الموت ، وحليفة الشيطان ، وحكم بالموت ، وشر يُجتنب ، وغبية فى جملة حالاتها ، وعاجزة عن كل خير قادرة على كل ما هو خبيث ، بليدة الفهم ، والتساهل معها يسقط دولة من عليائها ، وأنها فى أشرف حالاتها ظلٌ باهت للرجل معرَّض للزوال دائمًا !!

هذا التاريخ الذى كتبه الرجل بيده ، وكما هو واضح فيه الكثير ، بل كله ظلمٌ وتجنٍ على المرأة .

وقد حاولتْ المرأة مراتٍ كثيرة صنع عروش حقيقية لها ، ساعدها فى ذلك أمران :

* أهمية وخطورة دورها فى حفظ واستبقاء الجنس البشرى ، وإرضاء غرور الرجل ، وتحقيق رغبته الملحّة فى الخلود ، أو بقاء الذكر من خلال التناسل .

* فشل الرجل المتكرر فى حكم العالم وقيادته ، فلم تنعم البشرية طوال تاريخها الطويل بأوقات راحة وسلام ؛ وإنما هو تاريخ دموى حافل بالحروب والمجاعات ، والثورات والانقلابات ، والفساد والإفساد .

هذا الفشل فى حكم العالم من قِبل الرجل ضيَّق من الهوة الواسعة بين الرجل كقائد وحاكم وبين المرأة كتابعة ومحكومة ، وجعل الرجل لا يمانع فى أن يشرك المرأة معه فى القيادة والحكم من باب إراحة ضميره المعذب وكى يشركها فى تحمل المسئولية ؛ لأنه اكتشف ـ أخيرًا ـ مدى فداحة وثقل المسئولية ، على أن يتحملها وحده .

وكانت العروش التى تصنعها المرأة رشيقة أنيقة ، تساعدها الظروف فى جعلها ـ أحيانًا ـ فخمة جليلة ، وقد تخذلها الظروف ـ أحيانًا أخرى ـ فتكون متواضعة ، هينة الشأن .

وكانت المرأة تقترب كثيرًا من تلك العروش التى صنعتها ، أحيانًا باستخدام

ذكائها وتفانيها وإخلاصها ، وأحيانًا باستخدام دهائها ومكرها وخداعها . . . ولكن أبدًا لم تجلس على تلك العروش ، وإن جلستْ فلوقت وجيز للغاية .

ولكن كان يعزيها ويصبرها أن ثمة عروشًا تُصنع ، وأن هناك أملاً فى الجلوس عليها . وكما يقولون فى الأمثال : (طول العمر يبلغ الأمل) ، وليس هناك أطول عمرًا من المرأة .

وفى أوقات فراغها ، كان تستعيض عن بناء العروش الحقيقية ببناء عروش داخل قلب الرجل ، ظنًّا منها أن الرجل إذا مدَّ أنامله بالقرب من قلبه ، وأحسَّ بعرشها موجودًا فى سويداء قلبه ، فقد لا يمانع أن يتجسد هذا العرش فى الواقع ويتحول إلى حقيقة .

وقد شُغِلتْ المرأةُ بالأمرين معًا : محاولة صنع عرش فى العالم ، وإيجاد عرش فى قلب الرجل ، وتاريخها كله يُلخص من تلك المحاولتين ، وكان يدور بخلدها أن إحدى المحاولتين قد تنجح وقد ينجحان معًا ، ولم تكن تفكر مطلقًا فى الاحتمال الثالث ، أن تفقد العرشين معًا .

ذلك أن تاريخها كله عبارة عن فرص ضائعة ، ومحاولات فاشلة فى اقتناص الفرص؛ لأنها لم تتعلم كيفية الاقتناص ، بينما ساعد الرجل فى اقتناص الفرص، تلك الخبرة التى استمدها من خروجه ـ فى بداية عهده ـ للصيد والاقتناص ، واكتسابه المبادرة والسرعة والمناورة ، والتنبؤ مقدمًا بما سيحدث من الحيوان ، والاستعداد ، وأخذ الحيطة والحذر والصبر .

واستخدم الرجل نفس الأسلوب ـ الذى اكتسبه من طول خبرته فى معاملة الحيوانات البرية ـ فى استئناسها وترويضها ، تارة بالقوة والترهيب ، وأخرى بالتلطف والترغيب ، واستطاع أن يستأنس ويروض هذا المخلوق الذى كان فى بداية أمره لا يقل عنه تمردًا وعنادًا ، وجعله يأتمر بأمره .

هل يا ترى إذا كانت المرأة قد خرجت للاقتناص والصيد ـ كما خرج الرجل ـ هل كان تاريخها قد تغير ؟؟

ربما . أو على الأقل كانت ستكون أسعد حالاً ، وأفضل من الآن !!

وبقيت المرأة فى الكهف حيث الدفء والراحة والسلام والأمن .

أو أن الرجل أقنعها بأن تبقى بعيدًا عن الصراع مع الحيوان والطبيعة ،

والتعرض للمخاطر ، وأن يخرج هو .

واقتنعت بالبقاء منفردة .

ووافقت على خروج الرجل منفردًا ، وبين الاقتناع والموافقة ، نسجت المرأةُ بداية تاريخها الطويل مع الرجل .

وفصول هذا الكتاب عبارة عن كلمتين للمرأة : كلمة لها ، وكلمة عليها .

لذلك فقد ترضى كما لم ترض من قبل .

وقد تغضب كما لم تغضب من قبل .

وحق لها أن ترضى حينما تسمع كلمة الإنصاف والاعتراف لها بالجميل لما قدمته وتقدمه للبشرية .

وحق لها أن تغضب حينما تسمع كلمات التجنى والافتراء ، وإن كنا لا نتملق رضاها .

كما أننا لا نريد أن نستثير غضبها .

وإنما نريد لها أن تنتهج سبلَ الرشادِ من خلال استعراض تاريخها الطويل الحافل بالانتكاسات .

وأن تتعلم من تاريخها العريض المليء بالإحباطات ؛ لتخرج بالعبرة والعظة ، وتقوِّم ما أعوج من طريقها فى العصر الحديث .

وإن كان كل ذلك لن يعيد لها ما فقدته ، ولن يعوضها عما فقدته .

تنويه

هذا الكتابُ كُتبَ خصيصًا للمرأة .

وإن كنتُ أعلمُ أن أولَ القارئين له سيكون الرجل .

وهذا دأبُ وديدنُ الرجل ، متلهفٌ على ما يخصُّ المرأةُ .

ربما يرجعُ ذلك إلي إعجابه بالمرأة،وبالتالى فهو متعلقٌ بكلِ ما له صلةُ بالمرأة.

وربما يرجعُ أنه نصَّب من نفسه رقيبًا عليها ، لا يزيدُ أن يصلَ إلى يدها شيءٌ بدون أن يمرَّ من تحت عينيه .

وربما يرجع إلى خوفه منها ، والتحسب لما قد يحدثُ منها فى المستقبل ، فربما بين يوم وليلة تنتفض المرأةُ ، وتثورُ وتطالبُ بنوبتها فى القيادة والحكم ، فمنذ زمن بعيد والرجل هو الذى يقودُ ويحكمُ العالم ، فليأت عليها الدورُ وتتولى القيادة والحكمَ ، وليست قيادة وحكم الرجل للعالم ضربة لازب .

فليس هناك ما يمنع أن تحكم المرأة العالم ، وحجتها فى ذلك أن الإنسانية جَربتْ حكمَ وقيادةَ الرجل فلتجربْ حكمَ وقيادةَ المرأة، جريًا على سنن الديمقراطية والحرية التى يتشدق بها الرجال ، وربما تصلح المرأة ما أفسده الرجل ، وتقوّم ما اعوج ، وربما تنعم البشريةُ بالأمنِ والسلامِ ، وهى تحت قيادة المرأة كما لم تنعم من قبل .

حتى وإن لم يحدث هذا فى عهد حكم المرأة فقد نال المحروم حقه ، وحكّمت الإنسانية واحتكمتْ إلى الديمقراطية والحرية .

الرجل لا يستبعد أن يحدث ذلك ، وإن كان أخذ من الاحتياطات ما يمنع من حدوث ذلك ، فهو المشرف والمتحكم فى تشكيل عقل المرأة ، وبين الوقت والآخر يقوم بعملية غسيل لعقلها ؛ ليتخلص من كل تلك الأفكار والمشاريع غيرَ المرغوب فيها من وجهة نظره.

والسبب الآخر الذى يجعلنى أرجح أن الرجل أولُ القارئين وآخرُ القارئين ، أن المرأة غير قارئة ، وإن قرأت فهى تقرأ ما لا يغنى ، وإن قرأت ما فيه فائدة ، فهى غير قادرة على أن تترجم ما قرأته إلى واقع يؤثر فى حياتها وحياة الآخرين وإن ترجمته إلى واقع اليوم ، فهى غير صابرة على متابعة ما ترجمته ، وإن صبرتْ فهى غير مستعدة على تحمل ما ينجم عن هذا من أعباء ومسئوليات ؛ لأنها ما زالت واقعة تحت الوهم الذى صوره وجسده الرجل إلى حقيقة واقعة .

وإن كنت أتمنى أن تُخلف المرأةُ ظنى ، وظن كل من يسىء الظن بها .

الرجل يكتب تاريخ المرأة

* الرجل خصم وحكم
* المرأة اليهودية
* المرأة المسيحية
* المرأة الفارسية
* المرأة الرومانية
* المرأة الإغريقية
* المرأة الفرعونية
* المرأة معيار التقدم
* أحكام جائرة ضد المرأة
* المرأة في العالم الحديث
* التساهل مع المرأة يسقط دولة من عليائها
* المرأة مخلوق عبقرى
* استدراك ذكى من المرأة

الرجل يكتب تاريخ المرأة

الرجل خصم وحكم :

هل حكم الرجل على المرأة فيه الكثير من الإنصاف والعدل ، أم الكثير من التجنى والظلم ؟

وهل الرجل إزاء المرأة خصم أم حكم ؟

فإذا كان خصمًا ، فليس هناك من حكم غيره ، فالكون رجل وامرأة ، وليس هناك جنس ثالث .

وإذا كان حكمًا ، فمن أين له بالموضوعية والحيدة التى يتصف بها الحكام وهو طرف أساسى فى القضية المعروضة أمامه ؟

هذا هو الموقف المتناقض الذى يقفه الرجل من المرأة ، فكلا الموقفين - الخصم والحكم - لا يصلحان ، فكل منهما ينقض الآخر .

على هذا فكل الأحكام والاتهامات التى أصدرها الرجل على المرأة على مر التاريخ لا سند لها من الحقيقة ، ولا من الواقع ، ولِمَ نقول : أحكام واتهامات ، ولا نقول : تاريخ ؟

فالذى كتب تاريخ المرأة هو الرجل ؛ لأنه هو الذى يصنع التاريخ ، لذا فهو الأحرى بأن يسجله ، وإذا دخلنا إلى مجال تسجيل التاريخ فلا بد أن ندخل الأهواء والنوازع الشخصية .

لذلك نجد أغلب ما كُتب عن المرأة يسير بين نقطتين ، الصور المثالية للمرأة ، والصورة المعتمة للمرأة ، واقرأ أى كتابة عنها ، فإما أن تُرفع بها إلى أعلى عليين ، وإما أن تهبط بها إلى أسفل سافلين .

وضاعت الصورة الواقعية للمرأة بين هذا وذاك ، صورة المرأة كما خلقها الله ، كإنسان أولاً ، وكامرأة ثانيًا ، وكأنثى ثالثًا ، فندر إن تجد ذلك .

صورة المرأة قديمًا

المرأة اليهودية :

فعند اليهود قديمًا : (المرأة تُسبى ، وتباع ، وتورث ، وللأباء أن يؤجروا أبناءهم لموعد ، وأن يبيعوا بناتهم القاصرات بيع الرقيق ، وأن يقتلونهن . ولم ترفع التوراة من قدر المرأة ، ففى سفر الجامعة أن المرأة أمرّ من الموت ، وإن الصالح التقى الذى ينجو منها ، رجلاً واحدًا بين ألف وجدت ، أما المرأة فلم أجد واحدة بين كل أولئك) .

المرأة المسيحية :

ولم تكن المرأة المسيحية بأحسن حالاً من المرأة اليهودية ، ولكن إعزاز المسيحية للمرأة بقدر ضئيل ، لم ترفع من شأن المرأة ، ولم تطلقها من سلطان الرجل ، ولم تحمها من عسفه وازدرائه ، فالإنجيل يخص الرجال بالذكر دون النساء (لأن الرجل مخلوق على صورة الله أما المرأة فإنها مخلوقة من جنب الرجل) وقد أيدت آراء رجال الدين أن المرأة ساقطة المكانة ، وقد فسر رجال الدين قصة آدم وحواء كما وردت فى الإنجيل بأن المرأة حليفة الشيطان ، فهى جديرة بالاحتقار، وعدها بعضهم مصدرًا للرجس ، وكان من أثر ذلك انتشار الرهبنة والتبتل .

المرأة الفارسية :

أما بالنسبة للمرأة الفارسية : (إنه كان للفارسى أن يتصرف فى المرأة كما يتصرف فى سلعة ، بل لقد كان له أن يحكم عليها بالموت) .

المرأة الرومانية :

(كانت فى نظر الرومان شرًا يُجتنب ، وإن كانت مخلوقة للمتعة وهى خاضعة للرجل) .

المرأة الإغريقية :

وعند الإغريق فالمرأة : (فلم تكن أسعد حالاً ولا أرفع مكانة ؛ لأن الإغريق

عامة يعدون النساء من المخلوقات المنحطة) .

المرأة الفرعونية :

ولم تنل المرأة تكريمًا وإعزازًا كما نالته المرأة فى مصر القديمة ، ولكن على ما يبدو أن هذا كان نوعًا من التفضل من جانب الرجل : (فإن جدول ملوك مصر لم يذكر غير خمس ملكات بإزاء أربعمائة وسبعين ملكًا ، ويظهر أن شعور المصرية بأنوثتها كان السبب ـ وإن كانت ملكة ـ تشعر بأن الملك أليق بالرجل ، لأن الملكة حتشبسوت ـ قبل ١٥٥٠ق.م اضطرت إلى أن تلبس ثياب الرجل مراعاة للرأى العام . وكان المصريون يدينون للملكة بالولاء ويُجِلُّونها حتى ليقول (ديودور الصقلى) : إنها كانت تنال من السلطة والتكريم أكثر مما ينال الملك ، ويرجع ذلك إلى الذكرى المجيدة التى خلفتها فى مصر الإلهة إيزيس) .

المرأة معيار التقدم :

على ما يبدو أن مكانة المرأة فى أمة من الأمم تصلح أن تتخذ كمعيار لمدى رقى تلك الأمة ، ومدى تحضرها ، ليس هذا فحسب ، بل هو أصدق معيار ؛ لأن إعطاء الإنسان حقه أيما كان رجلا أم امرأة ، غنيًّا أم فقيرًا ، ضعيفًا أم قويًّا ، هو مناط الرقى والتقدم ، وبخسه حقه لهو دليل على التدنى والتخلف ، والمرأة تقف فى مقدمة من يجب أن ينصف ويتحرى معها الإنصاف ؛ لأنها كما قلت هى المعيار .

ففى مصر : (كانت الزوجة جليلة القدر ، حتى أن الملك لا يكاد يصور على الآثار إلا مع زوجته ،وهذا عام لا يقتصر على الطبقة العالية ، وكان لقبها أنها ربة البيت ، وكانت النساء يحضرن مع أزواجهن الحفلات العالية ، وهذا مظهر لم يعهده العالم القديم ولا الشرق الحديث ، فالمصرى كانت امرأته بجانبه أينما وجد، ولم يكن من الأدب المرعى الفصل بين زوجين ، وهذا ما يشبه ما نراه الآن فى الحفلات الأوربية ، فالزوج المصرى وزوجته يجتازان الحياة واليد فى اليد كما نرى فى الصور التى على القبور) .

أحكام جائرة ضد المرأة :

هذه بعض الأحكام التى أُطلقت على المرأة قديمًا ، وكما هو واضح - باستثناء مصر القديمة - هى أحكام جائرة لا تصدر إلا من خصم ، وليس خصمًا يتحرى الحق أو الصدق فى دعواه ، ولكنه خصم لدود ، يكيل كل الصفات جزافًا إلى خصمه ، وإن بحثت عن السبب فى تبرير تلك النظرة إلى المرأة ، فإنك تحار ، فليس هناك اختلاف بين رجل وامرأة ، إلا فى الوظيفة الطبيعية لكل منهما وما يترتب على تلك الوظيفة من تبعات .

ولا أظن أن وظيفة المرأة الطبيعية تقتضى من الرجل كل هذا الكره والمقت والصورة المزرية المتدنية التى ينظر إليها الرجل ، وإلا لوجدنا ذلك فى عالم الحيوان وعالم الحشرات ، فتلتقى وظيفة المرأة مع وظيفة أنثى الحيوان مع قليل من التحوير والتعديل ، ولم نجد الذكر فى عالم الحيوان يعامل أنثاه بما يعامل به الرجل المرأة؛ لشىء بسيط أن فى عالم الحيوان السنن الطبيعية والفطرية هى سيدة الموقف ؛ لذا نجد الحب والإعزاز والتكريم من الذكر لأنثاه .

التهوين من شأن المرأة مخالفة للسنن الطبيعية :

إذن أى حكم أو أى مذهب ، أو أى دعوى من شأنها أن تغبن المرأة ، أو تهون من شأنها ، أو تقلل من قدرها تعد مخالفة للسنن التى تجرى على حكمها جميع الخلائق .

المرأة فى العالم الحديث :

هذا كان وضع المرأة فى العالم القديم ، فهل تغيرت النظرة إليها فى العالم الحديث ؟

رأى الأديب الروسى (تولستوى) فى المرأة :

يقول : « إن المرأة لأداة الشيطان ، إنها غبية فى جملة حالاتها ، ولكن الشيطان يعيرها دماغه حين تعمل فى طاعته ، انظر إليها فهى تأتى بالمعجزات من التدبير والنظر البعيد والمثابرة لتقضى من ثم إلى عمل خبيث .. ولكنك تنظر إليها

حين يطلب منها عمل غير خبيث ، فإذا هى عاجزة عن فهم أصغر الأمور ، لا تنظر إلى ما وراء لحظتها ، ولا ترى لها عزيمة ولا جلد » نقلا عن كتاب (هذه الشجرة) للأستاذ العقاد .

عدّد معى العيوب والنقائض التى ذكرها الأديب الكبير :

١ ـ أداة الشيطان .

٢ ـ غبية فى جملة حالاتها .

٣ ـ الشيطان يعيرها دماغة ؛ لأنها بلا دماغ .

٤ ـ نهاية كل أعمالها خبث .

٥ ـ عاجزة عن كل خير ، قادرة على كل ما هو خبيث .

٦ ـ بليدة الفهم .

٧ ـ لا يعنيها إلا لحظتها الحاضرة .

٨ ـ لا عزيمة لها لنفاذ أى أمر .

٩ ـ لا جلد لها لاحتمال المصاعب .

علام أبقى الأديب الكبير للمرأة بعد كل ذلك ؟!!

وهل فى الإمكان التى تجتمع كل تلك النقائض فى مخلوق لنعده بعد ذلك من الآدميين ، ناهيك عن كونه امرأة ؟

الخصومة هنا واضحة ، واللد أكثر وضوحًا .

التساهل مع المرأة يسقط دولة من عليائها :

أما تفسير ذلك فيتولى (شونبهور) شرحه : (أرسطو شرح فى سياسته ما حاق بأهل إسبرطة من جراء تساهلهم مع نساء عشيرتهم ، وتخويلهم حق الوراثة والبائنة ومنحهن قسطًا كبيرًا من الحرية ، وبين كيف أن هذا التساهل كان سببًا من أسباب سقوط إسبرطة واضمحلالها) .

ثم قال : (وما لنا لا نقول نحن : إن نفوذ النساء الذى أخذ يمتد ويشتد فى

فرنسا منذ أيام لويس الثالث عشر كان سر ذلك الخلل الذى ألم بالبلاط والحكومة تدريجا وما زال بها حتى أفضى إلى الثورة الأولى وما جرت إليه من القلاقل والأهوال) .

فهن السبب فى سقوط إسبرطة !!

وهن السبب أيضًا فى قيام الثورة الأولى فى فرنسا ، ونضيف أيضًا أنهن السبب فى قيام الحرب العالمية الأولى والثانية ، وإذا قامت حرب عالمية ثالثة ـ أبعدها الله ـ لا نستبعد أن السبب النساء !!

رأى العقاد فى المرأة :

ولأستاذنا العقاد ـ رحمه الله ـ رأى فى المرأة ، وهو وإن كان معتدلا إلى حد ما إلا أنه يدل على هذا الموقف الحاد من المرأة . . يقول :

« فى المرأة من أخلاق الطفل غيرته المضحكة ، ونزقه السريع أو استغراقه فى الحاضر الذى بين يديه وقصور نظره على الظواهر والقشور ومرحه وغرارته ونفوره مما يهم ويصلح ، ومحاكاته كل ما يراه وتعويله فى أموره على سواه وتقلبه وكذبه ورياؤه وطمعه وموجدته وافتتانه بالثناء والإطراء » .

وهذا الكلام صحيح من ناحية الربط بين أخلاق الطفل والمرأة ، فكل امرأة أم بالقوة قبل أن تكون بالفعل ، ومحور وجودها الأمومة ، فإذا كانت تلك الأخلاق طبعًا أو تطبعًا فمن أجل أن تعينها على فهم الطفل والتعامل معه بمقتضى هذا الفهم ، ولن يتسنى للخلائق فهم بعضها البعض إلا من خلال التقارب فى الطبائع فبل التقارب فى العقول ، فإذا كانت الصفات التى ذكرها الأستاذ العقاد تتصف بها المرأة ، فمن أجل تمكينها من رعاية الطفل وتربيته .

أما رأى الرجل فى تلك الصفات فى أنها تحوز رضاه أو تستدعى نقمته فهذا شىء آخر .

المرأة مخلوق عبقرى :

وهناك آراء وأقوال كثيرة تسير على تلك الوتيرة ، وكلها تنحصر فى أمرين :

الأول : أن الرجل لم يظلم المرأة ؛ لأنها تتصف فعلا بكل تلك الصفات فلم يعد الرجل الحقيقة بوصف المرأة بكل ما وصفها به .

الثانى : أن المرأة مخلوق عبقرى ، وحاول الرجل جاهدًا طمس تلك العبقرية، ونجح فى ذلك نجاحًا منقطع النظير ، والذى يسر له ذلك هيمنته على وسائل الإعلام باختلاف أنواعها على مر مراحل التاريخ الإنسانى ، واستطاع أن يرسِّخ فى الأذهان تفاهة وحقارة وخواء المرأة ، ليس هذا فحسب ، بل بنى مجده من خلال أسلوب الدعاية المضادة . . فإذا وصفت المرأة بصفة سلبية فالصفة الإيجابية من نصيب الرجل ، حتى ولو لم يكن يتصف بها ، فإذا وصفت المرأة بالغباء ، فلمن يكون الذكاء إن لم يكن للرجل ؟!

وإذا وُصفت المرأة بالعجز فلمن تكون القدرة إن لم تكن من نصيب الرجل؟!

وربما يرجع نجاح الرجل فى هذا المجال إلى كسل وفتور المرأة فى الدعاية لبنات جنسها ، فعلى كثرة ما كُتب عن المرأة وأُلف من قِبل الرجل لا نجد كتابًا إلا فيما ندر عن الرجل كتبته امرأةٌ !!

فهل يا ترى مرد هذا الأمر أن الرجل لا يشغل تفكير المرأة ، بقدر ما تشغل المرأة تفكير الرجل ؟

وما الذى يشغل تفكيرها إن لم يشغله الرجل ؟!

أم أنها تبنتْ آراء الرجل وأحكامه فيها بعد نجاحه فى إقناعها تارة بكثرة الإلحاح ، وأخرى باستخدام المنطق والحجة من خلال هيمنته على وسائل الإعلام.

استدراك ذكى من المرأة :

ربما تكون المرأة قد استدركت هذا فى العصر الحديث ، فأنت واجدٌ الآن صورة المرأة تطالعك صباحَ مساءَ من خلال وسائل الإعلام ، وبصورة مكثفة لم يسبق لها مثيل ، ووصل الأمر إلى أنها ترأس بعض القنوات التليفزيونية وبعض المجلات ودور النشر !!

ولكن هل وصلتْ إلى ذلك بفضل جهدها وكفاحها وذكائها ؟ أم أن الرجل هو الذى أفسح لها المجال تكفيرًا عما فعله معها فى الماضى ؟

أيّما كان الأمر . . . فإن السؤال الذى يوجه الآن :

هل ستنجح المرأة أن تعيد كتابة تاريخها بيدها غير التاريخ الذى كتبه الرجل؟

هل ستنجح فى رسم صورة مغايرة للصورة التى كانت عليها فى الماضى ؟ أم أنها ستترك الأمر ـ كعادتها ـ للرجل يتولى تلك المهمة ؟

لنترك الأيام والأحداث تجيب عن ذلك .

فقدت عرشها

* المرأة فى كل مكان
* على المكشوف
* خصوصيات المرأة تتناول بوقاحة لا مثيل لها
* خروج المارد من القمقم
* صورة جديدة للحب
* الحياة المعاصرة أهون بدون حب
* هل المرأة كائن محبط ؟
* فقدت عرشها

فقدت عرشها

المرأة فى كل مكان :

إذا فتح الرجل أو الشاب التلفاز فى أى ساعة من نهار أو ليل ، تطالعه وجه امرأة ، وإذا استدعى أى قناة من القنوات التى لا يحصيها عد تطالعه وجه امرأة أيضًا .

قس على ذلك المجلات وأغلفتها والجرائد. وإذا دخل أى مكتب ، أو محل، أو صيدلية أو عيادة أو كافتيريا أو فندق . . المرأة . . . المرأة . وجود ملح إلحاحًا عجيبًا وغريبًا .

نعم قد تجد رجلاً ، ولكن الوجود للغالب هو للمرأة .

شاهدت فى ذات يوم فى التلفاز أغنية ، المغنى يغنى وحوله أكثر من عشرين امرأة ، يرقص ويغنى ويرقصن حوله !!

الشىء الطبيعى أن تكون امرأة، أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ، وما فى ذلك؟!!

صحبة من الأزهار الجميلة البديعة ، الرشيقة كل زهرة تفوح بعبير وأريج يعطى للحياة معنى .

نعم صحبة أو مجموعة من النساء ، لا ملامح محددة ، ولا تميز ولا تمايز ولا ذاتية ولا تفرد ، مثل مسابقات الجمال ، عدد كبير من الجميلات بعد استعراضهن لا يعلق بذهنك وجه معين ، أو ملامح محددة أو شخصية معينة ، أصبح الأمر أمر مقاييس ؛ أى جمال رقمى مقاس الصدر ، الخصر . . الأرداف ، شكل الأنف ، استدارة الوجه . . أرقام . . أرقام . . ونسب .

والمعروف أن الجمال لا يُحد بتلك النسب ، كما أن الجمال لا يترجم إلى أرقام ، فلا يغنى عن الجمال إلا الجمال .

وأصبح للجمال ملكة ، مع أن الجمال موزع بنسب متعادلة بين جميع بنات حواء .

على المكشوف :

لم تعد المرأة ـ كما كانت ـ شيئًا عزيز المنال ، دونها عقبات وعقبات ، ولم تعد هذا اللغز المختبئ وراء الجدران أو خلف المشربية لا يرى إلا ظلها ، هذا إذا كان هناك ظل ، ولم يعد خيال الرجل يعدو ولمحاولة الإمساك بملامحها ، أو الاستئناس بوجودها المتخيل ، وإنما أصبحت المرأة موجودة فى كل مكان ، فى الشارع ، فى الأتوبيس ، فى المكتب ، فى الجامعة ، فى الجيش ، فى الشرطة ، فى مجلس الشعب ، فى الأمم المتحدة ، فى السوق ، فى المتجر .

وأصبحت أخص خصوصيات المرأة تُناقش على الملأ بكل صراحة ، وعلى مسمع من كل الفئات العمرية ، الدورة الشهرية ، الحمل ، والأيام المحتمل فيها الحمل ، والأيام التى لا يحتمل فيها الحمل ، وحبوب منع الحمل ، والمعاشرة الزوجية . . والطرق المثلى . . . إلخ .

نعم كل هذا كان موجودًا فيما مضى، ولكن لم يكن متناولاً بكل هذا الشيوع والانتشار ، وبكل تلك الصراحة ، بدون اللجوء إلى التلميح أو التورية ، ربما يرجع هذا إلى طبيعة العصر الذى نعيشه فى الوقت الحاضر ، والتى حددت ملامحه أمور كثيرة منها :

ـ ثورة فى الاتصالات وفى قوتها وقسوتها إلى درجة الغزو .

ـ رغبة القوة المؤثرة فى العالم أن تفرض على الآخرين أسلوب حياتها ورغبتها كذلك أن تمحو الفروق الذاتية أو الأممية ، أو أى فروق من أى نوع .

ـ ثورة العقل والفكر التى لم تعد تسمح بالغموض أو الاستتار ، فكل شىء واضح وضوح الشمس ، أو ينبغى أن يكون هكذا ، وكل شىء مهما كانت دقته وبعده ، يجب أن يكون فى متناول العين واليد وخاضع للتشخيص . فأدق الأجهزة داخل جسم الإنسان أصبحت تصور وهى تعمل ، ويراها الإنسان بنفسه وذلك من خلال أجهزة المناظير،حتى عملية الإخصاب خاضعة للأجهزة والتقنيات العلمية وتحت السيطرة .

أى شىء فى حياة المرأة بعد ذلك غامض ، أو خفى ، أو مستتر ؟ وما الذى

تستطيعه المرأة أن تحجبه عن الآخرين ؟

كل هذا لم يخف المرأة ، أو يجعلها تتقوقع أو يرعبها ، وإنما زادها جرأة وشجاعة ، وكأن لسان حالها يقول : إذا كانت طبيعة العصر ، وما يحفل به من تغييرات وتطور ، قد حطمت جدران القلعة والحصن الذى كنت أعيش فيه قرونًا ، وأباح للآخرين النظر واللمس ، فعلام أبقى أنا ؟! إذن بيدى لا بيد عمرو .

خروج المارد من القمقم :

وانطلقت المرأة ، واحتلت أماكن ، وشغلت مناصب ، وتبوأت مراكز ، وأثبتت جدارتها ، واعترف لها بأحقيتها ، وبورك ما حصلت عليه ، ولكن فى غمرة كل هذا ، كان لا بد وأن يطرأ على علاقة الرجل بالمرأة تغيير .

فلم يعد يشعر الرجل أن المرأة هذا الكائن الذى يحتاج منه إلى حماية دائمة ومستمرة ، بل تستطيع أن توفر تلك الحماية لنفسها وتستطيع أن تتولى أمور نفسها وتدبر شأنها .

ولم تعد المرأة ترى فى الرجل مصدر الحماية والرعاية الوحيدين ، بل تستطيع أن تمضى حياتها بدون الركون إلى الرجل ، وإن كان هذا مستبعدًا بعض الشىء ولكن مجرد عدم تعلق وجودها بوجوده حدد وقلص من أهمية وجوده . وبذلك تم عقلنة العلاقة ، أو أصبحت مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالواقع الذى يعيشه كلاهما .

ودخل العلاقة شىء من الفتور والجفاف قياسًا على ما كان عليه فى السابق فلم تعد العاطفة حارة وحادة ومتأججة ، ففى الماضى كانت مجرد رؤية المرأة متعذرة ، والحديث مستحيل ، والجلوس معها من رابع أو خامس المستحيلات ؛ أى كان الحرمان سيد الموقف . أما اليوم فالرؤية والحديث والجلوس أصبح من أيسر الممكنات .

صورة جديدة للحب :

وانعكس أثر هذا على الأدب والفن ، ففقد الشعر مساحات خضراء شاسعة كان يمرح فيها ، وخسر سماوات صافية كان يحلق فيها ، أصبحت تلك المساحات

والأماكن خرابًا ، هربت الرومانسية إلى غير رجعة ، لم يعد الإنسان مهتمًا بهامش العلاقة ، وإنما بالعمق والصميم .

ولم يعد الحب حرمان وهيام وسهد وأرق ، وإنما أصبح الذى يجمع بين الرجل والمرأة جملة مواصفات ، تجدها المرأة متوافرة فى الرجل ، ويجدها الرجل متوافرة فى المرأة ، فيحدث نوع من التفاهم أو التناغم أو الانسجام يقوى بمدى توافر تلك المواصفات ، ويضعف كلما قلت نسبة المواصفات ، أما أمر الحب فيأتى بعد ذلك ، أو لا يأتى وغالبًا لا يأتى بالمرة .

الحياة المعاصرة أهون بدون حب :

والحياة المعاصرة محتملة بدون حب ، بل تكاليفها أهون وأخف بدون حب . فمقدرة الإنسان على الاحتمال لم تعد كما كانت ، الأعصاب ضعفت والصبر نفد ، والأفق ضاق ، رغبات كثيرة استحدثت ووجدت وهى فى حاجة إلى الإرضاء والإشباع .

ودعنا لا نبالغ ، فالحب موجود ، كما كان موجودًا فى كل عصر وأوان ولكن يتناسب وظروف العصر الذى نعيشه ونحياه فى شكل كبسولات يتعطاها الإنسان إذا شخَّص له طبيبه أنه مصاب بأنيميا الحب ، أو الحب على هامش حياته إن استطاع أن يجعل لحياته هامشًا .

هل المرأة كائن محبَط ؟

هل المرأة لها يد فيما وصلت إليه ؟

هل كانت عاملاً مساعدًا ، أم أن الظروف كانت أقوى منها ؟

ونسأل سؤالا آخر : هل المرأة سعيدة بتلك النوعية من الحياة التى همشت من أمر الحب وأرسلته فى ذيل قائمة الضروريات ؟

لا شك أن المرأة محبَطة أكثر من الرجل .

لأن إذا كان للحب أهمية عند الرجل فى حياته، فإن الحب هو الحياة للمرأة.
وقد قالها العربى لسيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ بتلقائية تحكمها الفطرة النقية (إنما

يبكى على الحب النساء) ، فلا غنى للمرأة عن الحب ، ولكن إذا كان الرجل هو الشاغل الأول للمرأة ، فإن الرجل شاغله الأول هو العالم حـوله ، وها هو العالم ينقلب رأسًا على عقب، وها هو يسعى سعيًا لمحاولته فهم التغييرات من ناحية ، وملاحقتها والتمشى معها من ناحية أخرى ، فالساعة التى يقضيها فى الجلوس معها تضيع من مقدار فرصته ولو خضع وقضاها معها فذهنه مشتت ، وباله مضطرب ، عن أحوال عالم لا يدرى ما طرأ عليه بعد أن يتركها ويعود إليه.

ولا يخفى على المرأة حالة الرجل ، أن جزء منه معها وبقيته تتنازعه أمور أخرى .

ولم يعد يعجبها الشعر الذى يكتبه الرجل ، ولا تعجبها صورة المرأة فى الفن والأدب ، لم تعد الأميرة التى يسعى إليها الرجل عابرًا السبع بحور ، أو مقتحمًا بحر الظلمات من أجلها ، أو محاربًا ، أو مقاتلاً جيوش الظلام والظلم ، من أجل فك أسرها ، أو جلب النوق العصافير مهرًا لها ، أو متحديًا العالم بأجمعه من أجل الفوز برضاها .

فقدت عرشها :

فقدت المرأة ذلك العرش الذى كانت متربعة عليه فى قلب الرجل ، صادف أنها ملت من الجلوس ، فتركته وراء دعوات كثيرة مثل الحصول على حريتها ، أخذ حقوقها ، مشاركة الرجل ، المساهمة فى بناء المجتمع .

وقد ظنت أن العرش سيبقى مذكرًا إياها والأخرين بمكانتها ، ولكنها لم تكن تفكر أن زمن الأميرات والملكات ولى وانقضى ، وزمن العروش طواه النسيان فيمن طوى ، ولم تدر أن الإنسان قد يفعل أفعالاً فى توقيتات مناسبة بدون أن يدرى ، وأنه لو لم يفعلها طواعية لأجبر على فعلها ، فالظروف والتغييرات بمثابة فيضان مكتسح ، من لا يسبح معه طواعية فسيُدمر ويُطاح به إلى حيث لا يدرى.

هل المرأة لغز غامض ؟!

* سبب تفوق الرجل
* طبيعة المرأة
* وقت أن كان يعترف لها بالحكمة
* المرأة مخلوق يحب الاستقرار
* المرأة تفضل الرجل الغنى
* المرأة تفضل الرجل القوى
* المرأة تكره المغامرة والمقامرة
* المرأة تكره الكرم
* المرأة تكره البخل
* غرور الرجل
* المرأة امرأة والرجل رجل

هل المرأة لغز غامض ؟!

سبب تفوق الرجل :

علل الكُتَّاب والمفكرون سبب نبوغ وتفوق الرجل على المرأة إلى قصور وكسل تتصف بهما المرأة ، ونبوغ وذكاء يتميز بهما الرجل .

وحجتهم فى ذلك : أنه حتى فيما يخص مجالات المرأة مثل : الطبخ والأزياء وأمراض النساء والولادة ، كان المفروض والمنطقى أن تتفوق المرأة فيها على الرجل ، فمنذ القدم والمرأة هى التى تتولى أعمال الطبخ وتصمم الملابس ، والقابلات من النساء . . تلك الخبرة التى استمدتها المرأة على مدى التاريخ لا يقابلها خبرة عند الرجل ، ومع ذلك فأمهر الطباخين ، ومصممى الأزياء ، وأنبغ أطباء التوليد ومعالجى أمراض النساء من الرجال .

طبيعة المرأة :

ولكن الأمر على غير ما اعتقد الكتاب والمفكرون ، فيما يخص قصورها وكسلها ، فلا ذنب لها فى ذلك ، فطبيعتها تميل إلى الاستقرار والثبات ، وإلى المألوف من العادات والسنن ، فالدورة الشهرية تنتابها كل شهر بصفة منتظمة وثابتة ، كذلك فترة الحمل شهورها محددة . . . إلخ .

وتتميز كذلك طبيعتها النفسية بصفات معينة لتتناسب ورعاية الطفل ، والتفاهم والانسجام معه .

تلك المراحل من حمل وولادة وإرضاع ، تكون المرأة خلالها فى أسر الطبيعة لا إرادة لها فيما يتواتر عليها من أحوال وظروف ، فهى لا بد وأن تنزل على حكم الطبيعة مختارة أو مجبرة أبدًا مشدودة بين قوانينها وسننها .

وقت أن كان يعترف لها بالحكمة :

كان المجتمع يعترف بحكمة وحسن تصرف المرأة فى مزاولة تلك الأمور وقت أن كانت الحياة ثابتة ومستقرة وتسير على وتيرة متشابهة ، فأصناف الأطعمة محدودة ، وطريقة تجهيزها وتقديمها ميسرة ، وتصميم الملابس فى غاية البساطة ،

والمرأة فى حملها وولادتها لم تكن فى حاجة إلا إلى الحد الأدنى من الرعاية والمتابعة ، هذا إن احتاجت إلى شىء من هذا القبيل ، وقس بقية الأمور على ذلك .

فهنا ترك الرجل المجال للمرأة ، أو قل : إن الرجل لم يفكر مطلقًا مشاركة المرأة فى هذا المجال ؛ لأنها أصلح منه بما لديها من صبر ومصابرة على مزاولة أعمال منتظمة وثابتة ، فكل ما تحتاجه هى الدقة وعدم الملل والثبات والاستقرار . ولكن حينما تغيرت وتيرة الحياة وازدحمت أمورها وتعقدت ، واعتمدت على الابتكار والإبداع والتجديد ، وزاد طموح الإنسان فى الارتقاء ، وأصبح كل يوم يأتى بجديد ، وأصبحت حضارة العصر لا تقاس بالمهارة فى تأدية أعمال بعينها ، وإنما تُقاس بالإبداع على غير مثال سابق .

ومعلوم أن الابتكار هو خروج عن إلف العادة ، أو تغيير فى منطق مسار الفكر أو وضع فرض يصادر به كل ما هو موجود على ساحة الفكر ، أو إعادة تنظيم جزئيات العالم من حولنا لمحاولة الخروج بشىء جديد .

كل تلك الأمور المرأة بعيدة عنها ، أو تخشى الاقتراب منها ، فطبيعتها تملى عليها الثبات والاستقرار والاطراد .

وهذا يفسر أنها تؤثر الرجل الغنى ، فالمال يحميها من أى مفاجآت ، أو تقلبات فى الحياة لا يحسب لها .

وهى تفضل الرجل القوى ، فقوته مانع من أى اضطراب ، أو اهتزاز فى مسيرة الحياة الطبيعية .

وكذلك تفضل الوضوح على الغموض .

وتفضل البساطة على التعقيد .

والمباشرة على اللف والدوران .

تكره المغامرة ؛ لأنها رهان على المجهول .

تكره المقامرة ؛ لأنها رهان على كل ما تملك .

وإن كان المكسب شيئًا ضخمًا يتوازى أيضًا مع ضخامة الخسارة ، إلا أن هذا التأرجح بين المكسب والخسارة ينسف الاستقرار الذى تهفو إليه وقد تخشى من المكسب أكثر ما تخشى من الخسارة ؛ لأن للمكسب قد يأتى بالتغييرات والتقلبات غير المتوقعة ، وغير الطبيعية .

تكره الكرم ؛ لأنه تضحية بالمال فى سبيلِ قيم معنوية لا عائد مادى لها .

تكره البخل ؛ لأنه تضحية بكل المشاعر الإنسانية والقيم فى سبيل المال ، وقد يُرى فى هذا تناقضًا فى طبع المرأة ، وليس هناك تناقضٌ بالمرة ؛ لأنها تريد الاستقرار والثبات ؛ لأن هذا يتوافق وطبيعتها ودورها الحيوى والكرم قد لا يجلب لها ما تريده ، وكذلك البخل .

وكثيرًا ما حفل الشعر العربى بهذا اللوم من المرأة للرجل ، ويدافع الرجل عن تصرفه ، ولكن هو دفاع يسوغه منطق الرجل ، ولاتقبله المرأة بأى حال من الأحوال .

قال أبو كدراء العجلى :

يا أم كدراء مهلا لا تلومينى ... إنى كريم وإن اللوم يؤذينى

فإن بخلت فإن البخل مشترك ... وإن أجد أعط عفوًا غير ممنون

ليست بباكية إبلى إذا فقدت ... صوتى ولا وارثى فى الحى يبكينى

بنى البناة لنا مجدًا ومكرمة ... لا كالبناء من الآجر والطين

إلا إن البيت من الآجر والطين - فى منطق المرأة - يفيدها ويحميها من برد الشتاء وحر الصيف ، حيث لا يفيدها كرم زوجها أو إسرافه وتبذيره .

وقال خالد بن عبد الله الطائى :

وعاذلة قامت علىّ تلومنى ... كأنى إذا أعطيت مالى أضيمها

أعاذل إن الجود ليس بمهلكى ... ولا يخلد النفس الشحيحة لؤمها

وتذكر أخلاق الفتى وعظامه ... مغيبة فى اللحد بال رسمها

ومن يبتدع خيما سوى خيم نفسه ... يدعه ويغلبه على النفس خيمها

وإن لم يكن الجود ليس بهلاك ، إلا أنه يسبب لها نوعًا من القلق وعدم الشعور بالأمن بالنسبة ، فالرجل على استعداد لتقبل الصدمات والاضطرابات المفاجئة ، فهو مهيأ لذلك ، أما المرأة فالأمر مختلف ، طبيعتها لا تتحمل تلك الانتقالات المفاجئة بين الغنى والفقر ، وبين القوة والضعف .

لا تريد كرمًا لا تدرى علاما ينتهى ، وليس للكرم حدود يقف عندها وقد يصل الأمر بالكريم أن يقدم نفسه ، فقد حكى أن حاتم الطائى فدى أسيرًا بنفسه .

وهى لا تريد بخلا ، فهى لا ترى إلى أين يصل البخل بصاحبه ، فقد يضن بأسباب استبقاء النوع البشرى ويهدد الوجود فى الصميم .

وقد يحكم الكريم على المرأة بالغباء ؛ لأنها لا ترى ما يراه ، أو لا تفهم ما يفهمه ، ولا تعقل ما يعقله .

وقد يحكم البخيل على المرأة بالغباء ؛ لأنها لا ترى ما يراه كذلك .

ودائمًا يكلف الرجل المرأة أن ترى ما يراه ، وتفكر كما يفكر ، وتتصرف كما يتصرف ، وإذا لم تستطع ذلك ـ وهذا شىء طبيعى ـ لأن لها زاويتها الخاصة التى تنظر بها إلى الأمر ، ولها عقلها الذى تعقل به ما لا يعقله الرجل . . . إذا لم تستطع ذلك وُصفت بأوصاف كثيرة من قِبل الرجل .

إذن فهو نوع من الغرور أو نوع من التعنت أن يصف الرجل المرأة بالدونية فى التفكير أو التصرف .

فلا المرأة امرأة إذا فكرت كما يفكر الرجل ، ولن تكسب الإنسانية كثيرًا إذا تطابق تفكير وتصرف المرأة مع الرجل ؛ لأن جوهر الحياة هو التنوع والثراء ، ومردها الاختلاف ـ وليس الخلاف ـ بين الجنسين ، وهذا الاختلاف الذى يؤدى إلى التكامل بين الجنسين .

الغيرة امرأة

* وجود المرأة مرتبط بالغير
* نرجسية المرأة
* الغيرة خلق أصيل فى المرأة
* غيرة السيدة عائشة رضى الله عنها
* الغيرة إنذار بالخطر
* جنون الغيرة
* ألوان من الغيرة

الغيرة امرأة

وجود المرأة مرتبط بالغير :

إذا أطلقنا لفظ (الغيرة) انصرف الذهن فورًا إلى المرأة ، مع أن الرجل يغار ، ولكن ليست غيرة كغيرة المرأة .

أما لماذا ارتبطت الغيرة بالمرأة هذا الارتباط الوثيق ، بحيث إذا ذكرت المرأة فى مجلس كانت أول الصفات المتبادرة إلى الذهن ، وإذا ذكرت الغيرة تبادر إلى الذهن أول ما يتبادر . . . المرأة ؟؟

ذلك أن وجود المرأة مرتبط بالغير ، فهى لا تشعر باستقلال وجودها ، فى حاجة دائمًا إلى الآخرين ، يشعرونها بذاتها ، تستمد منهم الإحساس الأصيل بوجودها ، وهذا فى حد ذاته من أسباب اهتمامها بمظهرها وبزينتها ، فهى تريد أن تستهوى كل من حولها ، تود أن تسمع دائمًا عبارات المدح والإطراء والثناء، بغض النظر إن كانت تتصف أو لا تتصف بكل تلك الصفات التى يُشاد بها ويثنى عليها . فالأمر بالنسبة لها ليس ذا أهمية ، تريد أن تستمتع بالسماع ، وهى لا تجهد فكرها إن كان ما تسمعه صدقًا أم كذبًا ، ولا يعنيها فى قليل أو كثير ممن تسمعه ، يكفيها أن يلهج به أى لسان والسلام .

نرجسية المرأة :

يسعدها أن تسمع المدح والثناء ممن تحب .

ويسعدها أن تسمع المدح والثناء ممن لا تحب .

ويسعدها أن تسمع المدح والثناء ممن تكره .

وهى تفعل كل ما فى وسعها كى تكون مستهدفة لهذا المدح ، تهتم بنفسها أشد الاهتمام ، وتبذل فى ذلك الكثير من الوقت والتفكير والجهد ، وتتكلف التعنت فى ذلك .

ولكن كل ذلك ليس لذاتها ، وليس لحب الزينة فى ذاتها ، ولكن لأن ذلك يروق للآخرين، ويرفع منزلتها فى نظرهم ، والدليل على ذلك أن المرأة إذا أحبت

ثوبًا ما ، وأنفقت فيه الكثير من المال ، وأعجبت به إعجابًا شديدًا ، يكفى أن تسمع بعد ذلك كلمة تذم هذا الثوب فتنفر منه نفورًا شديدًا ، وتعرض عنه .

وأيضًا إذا كرهت فستانًا ما ورأت أنه غير مناسب لها ويبخس من جمالها الكثير . . . وصادف وأن سمعت مدحًا أو ثناءً عليه ، سيصبح من الفساتين المفضلة والأثيرة لديها ، أما ما كانت تراه فى هذا الفستان قبل سماعها ما سمعت ، فهى تكذب نفسها وتشك فى صواب حكمها ؛ لأن مرجعها فى كل أمورها وشؤونها الآخرون ، وهى تتجشم الكثير من العناء والتعب لإرضاء الآخرين ناسية فى ذلك نفسها .

« ولكن المرأة الحديثة تتجشم من الصوم ما لم يتجشمه كثير من النساك لإعجاب الأعين واجتذاب الأهواء ، وتجنب الطعام اللذيذ والشراب المشتهى لتجنب السمنة التى يعافها الرجل فى هذا الزمان ، وليس اجتناب المطاعم والمشارب بالأمر الهين عندها ، وهى حسبة جسدية فى ميولها ولذاتها ، ولكن الظفر بالاستحسان عندها فردوس يهون فى طلابه كل هذا الصيام الثقيل ، والصلوات التى تنصلت منها ما استطاعت ـ هى شىء هين بالقياس إلى حركات الرياضة وللتدليك ومتاعب الكساء الضيق والتلوين والتذويق ، ولكنها لا تثقل عليها كما تثقل الصلاة ، إذا كان وراء هذه المتاعب جزاؤها السريع نظرة إعجاب أو كلمة إطراء » هذه الشجرة ـ الأستاذ / العقاد صفة (٤٥) .

إن قوام وجودها الغير ، فى كل كبيرة وصغيرة ، تخصها ، وهذا الغير هو الذى يوجه ويشكل حياتها ؛ لذا فهى تحب التزين والزينة بكل صورها وفى جميع الأوقات المناسبة ، وغير المناسبة ، إذا اطمأنت إلى عين ترى ، وهى أشد ما تكون زاهدة فى التزين إذا لم تتأكد من وجود عين ترقبها . . . وقس على ذلك بقية أمورها واهتماماتها .

وهذا يخالف طبيعة الرجل فهو مستقل بوجوده ، إذا فعل شيئًا فهو يفعله لذاته سواء رآه الآخرون أم لم يروه ، ووجوده ليس معلقًا على الآخرين ، فهو زاهد فى عبارات المدح والثناء والإطراء ، وإن سمعها وأحب أن يسمعها ، فهى

ليست ببالغة ما بلغته من التأثير فى المرأة ، وليست مالكة عليه جماع تفكيره وإحساسه كالأمر مع المرأة .

وهذا ليس عيبًا فى المرأة ، ولا هو ميزة فى الرجل ، ولكن تلك هى طبيعة المرأة التى لا تملك معها تبديلا ولا تحويلاً ، وتلك هى طبيعة الرجل ، ولا فضل له ولا ميزة ، ونحن هنا لسنا فى مجال المفاضلة ، ولا نهدف إلى هذا ، وقصارى ما نبتغيه أن نجلى صفة هنا وصفة هناك ، ونرد الأفعال والتصرفات إلى بواعثها الحقيقية ، لنكن على بصيرة ونحن نتعامل مع المرأة .

الغيرة خلق أصيل فى المرأة :

على هذا فإن الغيرة خلق أصيل فى المرأة ، وإذا كانت الغيرة درجات متفاوتة، فإنها مع المرأة تصل إلى أقصى درجاتها .

والمرأة لا تملك التحكم فى هذا الإحساس بل هو مالكها ، وأن نطالبها بتحكيم العقل والمنطق ، وهى فى قبضته ، فكأننا نكلفها من أمرها شططًا ، وهى تتعجب أشد العجب من تصرفاتها بعد أن يزايلها هذا الإحساس ، وقد تسأل نفسها لم تصرفت على هذا النحو ؟!!

غيرة السيدة (عائشة) رضى الله عنها :

نلحظ ذلك من كلام أم المؤمنين السيدة (عائشة) رضى الله عنها حينما قامت السيدة (صفية) زوج رسول الله ﷺ بصنع طعام ، وقامت بإرساله إلى رسول الله وهو فى بيت السيدة عائشة تقول :

« ما رأيت صانعة طعام مثل (صفية) ، صنعت لرسول الله طعامًا وهو فى بيتى فأخذنى أفكل - أى قشعريرة - فارتعدت من شدة الغيرة فكسرت الإناء ، ثم ندمت ، فقلت : يا رسول الله ما كفارة ما صنعت ؟

قال : « **إناء مثل إناء وطعام مثل طعام** » .

فالسيدة (عائشة) تنكر على نفسها ما فعلته بدليل أنها ندمت ولم تكتف بذلك بل كفرت عما فعلته ؛ لأن مقامها ومنزلتها من نفسها ومن مقام رسول

الله ﷺ يقتضى منها التعالى والتسامى عن هذا الإحساس ، إن لم يكن فى ذروة فورانه ، فليكن من مفارقة هذا الشعور وعودة النفس من ثورتها إلى هدوئها .

فقد تغير المرأة مما لا يغار منه ، فتغير المرأة من أبنائها ، إذا رأت أن زوجها يؤثرهم عليها ، أو إذا أحست أنهم أخذوا جزءًا من اهتمامه بها . وقس على ذلك بقية المحيطين بها .

وتغار المرأة من المرأة الجميلة ، حتى ولو لم يكن لهذا الجمال أى أثر أو سلطان على من حولها ؛ لأنها دائمًا تقارن بين ما تراه وبين نفسها ودائمًا تخرج من تلك المقارنة غير راضية عن نفسها .

الغيرة إنذار بالخطر :

الغيرة تدل على انعدام الثقة بالذات ، فهى تخشى على ذاتها أن تُهمل ، والإحساس بالغيرة بمثابة إنذار وقائى ، إن ذاتها على وشك دخول منطقة الخطر ، وهى أشد المناطق التى تخشاها المرأة ، وهى تفعل كل ما فى طوقها كى تتجنب مجرد التفكير فى تلك المنطقة ، فهو إحساس قاتل أن تشعر أن ذاتها عاجزة عن استمالة من حولها أو قلْ : انعدام ثقة فى هذا الآخر الذى تستمد منه الإحساس بكيانها وبكونها امرأة تخشى ألا يستمر هذا المدد الذى يمدها به ، أو يضعف إذا انصرف عنها إلى أخرى .

والغيرة - أيضًا - بمثابة إنذار دفاعى عن حقها الطبيعى فى أن تستبقى هذا الآخر ، وهى تحتال كل ما وسعتها الحيلة أن تبقيه ، حتى لو اضطرت أن تمحى منه تلك الصفة التى رأت أن بسببها قد تفقده .

جنون الغيرة :

فإذا كانت تحب رجلا ، ورأت أن امرأة أخرى أرادت أن تستحوذ عليه أو تستميله لثرائه مثلا ، تمنت أن يفقد كل ما يملك كى لا يكون لأحد فيه إرب ، ولم تتمنى ؟ بل قد تعمل جاهدة لتبديد هذه الثروة إذا كان الثراء هو السبب فى ضياعه منها !! وليكن بعد ذلك أفقر الفقراء ، وكأن لسان حالها يقول : فقير بجوارى أفضلُ من أن يكون غنيًّا بجوار أخرى .

وهى لا تنظر إلى مقدار الخسارة التى سيصاب بها من تحب ؛ لأنها ترى المكسب كل المكسب أن تحتفظ به .

وإذا رأت أنها خاسرة الرجل لا محالة ، فقد تلجأ إلى حيلة اليائس ، فلتحرم أى امرأة أخرى من الانتفاع ، وتصرفها هذا مثل تصرف الجيش الذى خسر المعركة ، وليس أمامه إلا الانسحاب ، إذن فليحرق أرض المعركة وراءه ليدمر كل أسلحته قبل أن تقع فى يد عدوه . وقد تعزم على قتل هذا الرجل ، من أجل ذلك يقولون : إن الغيرة قاتلة . . . ولا أدرى إن كانت قاتلة من تشعر بها ، أم دافعة المرأة إلى قتل من تغار عليه .

ومع الغيرة ، تخرج المرأة عن أى منطق ، أو أى حكم عقلى ؛ لأن المرأة فى أغلب شؤونها لا تحتكم إلى منطق أو عقل بقدر ما تمليه عليها طبيعتها ، وللطبائع منطق يخالف منطق العقل .

ألوان من الغيرة :

هل للغيرة عند المرأة لون واحد ، أم هى ألوان متعددة ؟

هل تغار المرأة من المرأة الجميلة الحاضرة أمامها فقط ؟

فى الحقيقة أن المرأة تغار من المرأة لأسباب كثيرة منها : الغنى ، الحسب ، النسب ، المهارة ، النظافة ، النظام ، النجاح . . . إلخ .

وقد تكون المرأة المغار منها عاطلة من كل تلك الصفات ، فإذا سمعت من يلهج بالثناء عليها ولو كذبًا لغارت من تلك المرأة ، حتى ولو لم يكن لها وجود فى الحاضر ، كأن تكون قد ماتت .

وقد يمدح الزوج طهى أمه التى ماتت منذ زمن ، فتساور زوجته الغيرة من أم زوجها ، لا لشىء إلا لمجرد إحساسها أن جزء من اهتمام وتفكير زوجها انصرف إلى أمه ولو بالذكرى .

فهى تريد أن تكون وحدها الشاغلة فكره وإحساسه واهتمامه ، لا تتنازل ولو عن جزء بسيط من هذا الشغل والفكر والإحساس .

« والغيرة فى طبائع النساء ألوان : تغار المرأة على قلب الرجل الذى تحبه ولو شغلته الذكرى ولم تشغله المودة الحاضرة ؛ لأنها تعلم من هذا أنها لم تشغل قلبه كله ، وهى تأسى على كل ما يفوتها من شواغل ذلك القلب ، ولو لم تكن ثمة منافسة محذورة ، وتغار المرأة من المرأة الجميلة ، وإن لم تنافسها على رجل تحبه، وتغار المرأة من شريكتها فى رجلها كائنًا ما كان حظها من الجمال ، وتغار من كل مزية غير الجمال ما كان فيها سبيل إلى الحظوة فى القلب الذى تريده لها ، ولا تطيق المزاحمة عليه » هذه الشجرة ـ العقاد ـ صفحة (٣٠).

وإذا عرضت تلك الأسباب ـ أسباب الغيرة ـ على العقل ، لحار فى إيجاد مسوغ لها من المنطق ، والكثير من صفاتها لا يتسق مع المنطق ، وإن اتسقت مع طبيعتها كأنثى .

حاجة المرأة إلى الثقافة

* طبيعة العصر وضرورة الثقافة
* أين المرأة العربية من كل هذا ؟
* أهو ظلم للمرأة ؟
* حاجة المرأة إلى الثقافة
* عمل المرأة ليس من مستجدات العصر
* إعداد فنجان القهوة تفضل من المرأة على الرجل
* البحث عن الحقوق مشكلة هذا العصر

حاجة المرأة إلى الثقافة

طبيعة العصر وضرورة الثقافة :

بتقدم الزمن تتحول الأشياء التى كنا نعدها نوعًا من الترف والرفاهية ، إلى أشياء أساسية ومهمة ، وما كنا بالأمس فى غنى عنه ، يصبح اليوم من لوازم حياتنا ، والتى لا تستقيم بدونه ، والأمثلة على ذلك كثيرة . والثقافة تندرج تحت هذا المفهوم .

فقد كان المثقفون فئة محدودة فى كل مجتمع ، وكان أفراده ينظرون إليهم كصحبة ورد جميلة المنظر ، طيبة الرائحة ، فإذا فرغ الأفراد من كل أعمالهم الهامة ، يأوون إليهم لتزجية أوقات فراغهم للاستماع إلى أحاديثهم التى تطيب لهم فى بعض الأحيان ، ويضيقون بها أحيانًا أخرى ، ويتبرمون بها فى أكثر الأحيان ، ولا يشعرون بالفقد أو بالشوق واللهفة إليهم فى حالة عدم وجودهم .

وقد كانت الثقافة مفهومًا غامضًا ، يُسوِّد الكتاب صفحات الجرائد والكتب فى محاولة شرح غامضة ، وبيان أهميتها وخطورة تأثيرها فى حياة الناس ، إلا أن الناس فى أغلب الأحيان كانوا يطوون تلك الصفحات لينتقلوا إلى موضوعات أكثر أهمية ـ فى نظرهم ـ وأجل خطرًا وأعمق تأثيرًا .

أما اليوم . . فقد أصبح الناس يتعاطون الثقافة كما يأكلون ويشربون ؛ ذلك لأن الثقافة اقتحمت عليهم حياتهم ، وحطمت تلك السدود التى كانت تقام دونهم ـ قسرًا ـ أو يقيمونها طواعية واختيارًا رغبة منهم فى أن يعيشوا فى هدوء وراحة واطمئنان ، لا يعكر صفوهم ما قد يحدث مستقبلاً ، أو ما يحدث فى أماكن أخرى من العالم .

والذى أملى عليهم ذلك طبيعة العصر الذى نعيش فيه ، وتلك الثورة أو الانفجار المعرفى ، وتعدد وسهولة مصادرها ، وتيسير الحصول عليه ، بل إنها تقدم للناس بدون بذل أى جهد أو تجشم أى مشقة .

أين المرأة العربية من كل هذا ؟

من اليسير على المرأة أن تقرأ جريدة أو مجلة من تلك المجلات التى تهتم بالأشياء التى تخصها ، أو تتناول قصة ، أو تتابع مسلسلا يشجعها على الكسل والفتور العقلى ، أو تستمع ساعات إلى تلك الأغانى السقيمة ، أو تتحدث فى التليفون فى أمور فى غاية الهامشية مع إحدى صديقاتها كل هذا يعد شيئًا يسير عليها . أما أن تتناول كتابًا أو بحثًا يفقهها فى أمور دينها ودنياها ، ويوضح حقوقها ووجباتها كامرأة ، فهذا شىء يحدث قليلاً .

أو أن تقرأ عن تلك النماذج المشرقة النبيلة فى تراثنا ، والتى تفانت وأفنت كيانها فى خدمة أولادها وزوجها ووطنها ، وفهمت وفقهت أصول دينها ، لتكن على بصيرة ووعى من وضعها فى المجتمع . . فبينها وبين ذلك حجاب بل قل حجب !!

من السهل إقناعها :

تلك الأسباب التى ذكرتها ، والتى لم أذكرها ، تجد المرأة عندنا ليس لديها عمق فكرى ، ولا بعد فى النظر ، ولا شمول فى الرؤية ، ولا عقلية ناقدة فاحصة ، لذلك من السهل إقناعها بأى دعوى ، فإذا قيل لها : (حريتك) قلبت الدنيا رأسًا على عقب فوق دماغ الرجل ، وإذا قيل لها : (المساواة) أقامت الدنيا ولم تقعدها فى وجه الرجل .

وكأن الآخرين أدركوا هذا ، فأيقنوا أنهم إذا أرادوا أن ينفذوا إلى المجتمع فعن طريق المرأة ، فنقطة الضعف فى مجتمعنا هى المرأة ، فمن السهل إقناعها بأى شىء ، ثم تتولى هى بعد ذلك بأساليبها إقناع الرجل .

أهو ظلم للمرأة ؟

ولعل المرأة تقول إنى ظالم لها ، وغير مقدر ما تعانيه من جهد وإجهاد فنصف نهارها عمل خارج البيت ، والنصف الآخر عمل داخل البيت فهل يبقى لها بعد ذلك من الوقت كى تطلع على كتب تعطى لها العمق الفكرى والسداد فى الحكم والعقلية الناقدة ؟!

وكأن لسان حالها يقول : إن الوقت الذى أقر فيه فصلاً من كتاب الأفضل أن أقضية فى المطبخ ؛ لأعد نوعًا من الطعام لأبنائى أو طبقًا من الحلوى لزوجى ، أليس هذا واجبى ودورى ؟ وحتى لو بقى لى وقت . . . أأنفقه فى قراءة كتاب ثقيل المادة مجهد لعقلى ، شاق على نفسى أم ألجأ إلى فراشى مبكرًا لأنال قسطًا من الراحة ، أو أساعد أولادى فى استذكار دروسهم ؟!

ومع ذلك ، فإن كل هذا وأكثر منه يفرض عليها أن تقرأ ، وتطلع وتتفقه فإذا أرادت أن تنهض بكل تلك الأعباء على خير وجه ، وأتم صورة ، فلا بد أن تكون عامرة العقل ؛ لأن هناك خطأ جسيمًا تقع فيه المرأة ، فهى تظن أن تأدية دورها خارج وداخل البيت فى حاجة إلى جهد جبار يستنفد الكثير من الطاقة الجسمية ، وهذا خطأ . . ؛ لأننا ننجز كل أعمالنا وبعقولنا وليس بعضلاتنا أو بأعصابنا ، على هذا فلا بد أن يُشحذ هذا العقل ، وأن يكون مهيأ تهيئة كاملة وأن يُعد إعدادًا كاملاً ليقوم بدوره على أكمل وجه .

حاجة المرأة إلى الثقافة :

كلما زادت أعباء المرأة ، وكلما ثقلت مسئولياتها ، وكلما تجمعت على كاهلها المهمات الثقال ، كلما زادت حاجتها إلى القراءة والاطلاع ، هذا من شأنه أن يجدد حياتها ويزيد من عمق وثراء إحساسها بوجودها .

والمرأة عندنا يغلب عليها الحزن والأسى والقنوط والقرف ؛ لأن حياتها مملة آسنة ، تسير على وتيرة واحدة ، تستنزف فيها وجودها قطرة وراء قطرة ؛ لأنها تعيش ساعاتها متخمة بطلبات وأوامر الأولاد والزوج والرئيس فى العمل ، حياتها كلها داخل حجرة ضيقة خانقة من الأعباء والواجبات والمسئوليات .

أما وجودها وكيانها وذاتها وإنسانيتها وشخصيتها ، فكل هذا يأتى فى المقام الثانى . . هذا إن أتى !!

ولو أنصفت نفسها لاقتصدت فى كل شىء ، وأعطت كل ذى حق حقه ، وأهم الحقوق على الإنسان قاطبة عقله ؛ لأنه مناط كرامته وآدميته وإنسانيته ، فكل ما يمت لعقل الإنسان بصلة ، وكل ما يتصل بتوسيع مداركه وإنارة بصيرته ورقى

مشاعره وأحاسيسه ويعطيه الشفافية والحساسية فى فهم من حوله ، والقدرة على التعامل مع كل ما يجد ويُستحدث فى حياته ، ويهب حياته ووجوده الثراء والغنى. . . كل هذا لا يعد ترفًا ، بل شىء أساسى وهام ، ويُعد ترفًا فى حالة واحدة فقط ، إذا أردنا من الإنسان أن يكون قاصرًا على الجانب الحيوانى فقط يأكل ويشرب ويتناسل كأى مخلوق آخر .

وإذا كان شحذ العقل لازمًا للرجل ، فإنه أكثر لزومًا للمرأة ؛ لأن جل الحياة فى المجتمع تعتمد على المرأة ، زوجة كانت أم أمًّا ، فهى بمثابة محور يدور حوله كل أنشطة المجتمع ، وهى المؤثرة تأثيرًا كبيرًا فى حياة الأفراد والمجتمعات ، ورحم الله (حافظا) حين قال : (الأم مدرسة) ، فلم يقصر مهمتها أن تتعلم بل أن تُعلم ، وأهم شىء فى التعليم أن تعلم الفرد كيف يكون إنسانًا ، وهذا شىء ليس بالسهل ولا هو باليسير ، لذلك فهى أمامها مهمتان .

الأولى : أن تتعلم .

الثانية : أن تُعلم .

وغنى عن القول نوع التعلم ونوع التعليم .

ولكن مع ما حصلت عليه المرأة من مكاسب ، وبالرغم من تلك المناصب الهامة ، والأماكن الخطيرة التى تبوأتها ، ما زالت تُشغل بتوافه الأمور ، يشغلها كثيرًا المظهر ، وما يراه الآخرون ، وعلى ما يبدو أن هذا من رواسب ومخلفات الماضى، لم تتخلص منه المرأة فى العصر الحديث .

« والغارة الاستعمارية على الأمة الإسلامية كان لها هدفان قاتلان :

أحدهما : استبقاء المرأة جاهلة لا تدرى شيئًا عن نفسها أو عن العالم .

والآخر : تعليمها ـ إذا تعلمت ـ بمحاقر الأمور وأنواع الزينة وأشكال المدنية الحديثة ، والبعد بها عن اللباب والجد والارتقاء الفردى والجماعى » (قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة) ص (١٣٣) . تأليف الشيخ/ محمد الغزالى .

إعداد فنجان القهوة تفضل من المرأة على الرجل :

وضريبة خروج المرأة للعمل لا تتحملها المرأة فقط ، بل يتحملها الزوج والأولاد لذلك أخذت تفكر فى العودة إلى البيت ، وإن كان هذا على مضض منها وكره ، فالعمل يعطيها - فى رأيها - المساواة بالرجل ، بل يعطيها ميزة أيضًا عن الرجل ، فلتتحمل كل مشاق العمل ومضايقاته وآلامه إذا كان هذا سيجعلها ندًا للرجل .

وماذا تفعل المرأة لو درت أن عددًا من الفقهاء يرى ألا تزاول المرأة عملاً حتى فى البيت « فقد قال أبو حنيفة ومالك والشافعى : إن عقد الزواج للعشرة الزوجية لا للاستخدام وبذل المنافع ، فليس من مقتضاة خدمة البيت والقيام بشئونه ، وإن إعداد البيت واجب على الزوج ، وحق للمرأة . . » أحكام الزواج والفرقة فى الإسلام - د . أحمد يوسف ص (١٥٠) .

على هذا ، فإذا طلب الزوج من زوجته أن تعدَّ له فنجانًا من القهوة ، لنظرت إليه من علٍ وقالت له : إن هذا ليس من واجباتى ، وإن أعددت لك الفنجان فهو تفضل منى وكرم أخلاقى ليس إلا . . . وقس على ذلك بقية طلبات الزوج .

ولكن إن جاز هذا فى زمن ما ، فهو لا يجوز فى زمننا هذا ، والحرج الذى يقع فيه الناس راجع إلى تلك التغييرات التى تطرأ على المجتمعات بسرعة تسبق إمكانية تكيف الناس لها ، بل قد تجد من المعوقات والمثبطات ما يقف فى سبيل محاولة التكيف أو الاستجابة لما يطرأ من تغيرات .

ولكن بقليل من التسامح والتفاهم والمودة ، تُحل كل ما يعترض الإنسان من مشاكل بشرط ألا أكون دائم البحث عن حقوقى فقط .

عمل المرأة ليس من مستجدات العصر :

إذن فعمل المرأة ليس من مستجدات العصر الحديث ، فهو من قديم الأزل . فلم يوجد عمل نغنى فيه المرأة عن الرجل إلا وزاولته بنفس راضية ، وقلب قانع ، وكانت تفعل ذلك كنوع من تخفيف العبء عن زوجها أو مشاركته ، فيما هو آخذ

فيه ، أو ملو حياتها بالحركة والنشاط ، أو إثراء وجودها بما يشعرها بأهميتها فى الحياة بجانب زوجها ، أو الإحساس بكيانها ، كمخلوق له أثر فى تشكيل وجوده ووجود من حوله ، ولكن كل ذلك لم يخرجها ولم يسلخها عن جلدها ، أو يخرجها عن كونها امرأة . . بدأت كامرأة ، وانتهت كامرأة . . .

مثل الأمر مع (رقاش) امرأة قائدة ومحاربة ، قادت قومها إلى غزوة ثم بعد ذلك أحبت وتزوجت وحملت وولدت . فتعجب شاعرهم كيف يحدث ذلك .

« وقد أغارت (طيئ) بزعامتها وقيادتها على إباد من نزار يوم رحى جابر فظفرت بهم وغنمت وسبت ، ثم بعد ذلك حملت فتراخت عن الغزو ، فقال شاعرهم :

نبئت أن رقاش بعد شماسها ... حبلت وقد ولدت غلامًا أكحلا

فالله يحظيها ويرفع بضعها ... والله يلقحها كشافًا مقبلاً

كانت رقاش تقود جيشًا جحفلاً ... فصبت وأحر بمن صبا أن يحبلا

وكأن الشاعر يتحدث بلسان المرأة فى العصر الحديث . . فكيف تخرج المرأة لتزاول عملاً خارج البيت ، ثم يعود كما خرجت امرأة ؟

ألا يزيد خروجها من حقوقها ؟!

ومصدر أسف الشاعر أو حيرته أو تعجبه . . . كيف (رقاش) بعد أن تقود جيشًا وتغزو وتنتصر . . . ثم تحمل وتلد . . .

لم تعد جاهلة :

وعلى ما يبدو أن الهدفين استنفذا أغراضهما ، وتغلبت المرأة فى الحاضر عليهما ، فهى لم تعد جاهلة ، وأعرضت إلى حد ما عن محاقر الأمور والزينة ، إلا أنها ما زالت تشغل وتنشغل بأمور تستنفد طاقاتها وتفكيرها ، مثل حرية المرأة وحقوقها ومساواتها بالرجل . . إلخ والوقوف أمام الرجل موقف الند للند ، وقياس حقوقها بحقوق الرجل بحجة إذا كان الرجل يعمل فهى أيضًا تعمل ، بل تزيد عليه أنها تعمل داخل البيت ، وعلى هذا فلا بد أن تكون حقوقها متساوية

مع حقوق الرجل هذا إن لم تزد عليه . وكثير من أسباب الشقاق بين الرجل والمرأة مردة إلى هذا الأمر ، فإما أن تطالب المرأة الرجل بالإسهام بالعمل داخل البيت ، كما تساهم معه بالعمل خارج البيت ، وأما أن يتخفف من غلواء دور الآمر الناهى فى البيت، ولا يقيم الدنيا ولا يقعدها إذا لم يجد الطعام معداً ، أو البيت منظمًا هادئًا لينعم بالنوم .

ويجد الرجل نفسه بين أمرين أحلاهما مر ، فإما أن يجنبها مشقة العمل خارج البيت ، ويتولى تحمل مسئولية الإنفاق على البيت ، وأما أن يسمح لها بالعمل ويتغاضى عن أوضاع كثيرة داخل البيت ، راجعة إلى انشغال المرأة بالعمل خارج البيت .

وعزيز على المجتمع اختيار أى الأمرين ، وبالأخص فى تلك الظروف التى يمر بها المجتمع .

وحل تلك المشكلة بيد المرأة ، وبالأخص لو عرفت أن المرأة على مرِّ التاريخ كانت تعمل أعمالاً أخرى بالإضافة إلى عملها الأساسى داخل البيت ، وأن عمل المرأة ليس نتيجة تطور المجتمع فى العصر الحديث ، فإن كانت ألجأتها إلى العمل كسبًا للرزق ، فتلك الضرورات كانت موجودة من قبل ولم تشكِ المرأة ولم ترفع راية الاحتجاج .

البحث عن الحقوق مشكلة هذا العصر :

فمشكلة هذا العصر أنه عصر الحقوق ، كل منا يبحث عنها ، ويضعها كالوسام على صدره ، ويشرعها فى وجه كل من تسول له نفسه أن ينكرها ، أو يغض من شأنها ، أما الواجبات فالحديث عنها حديث ممل وفاتر ولا داعى له !!

الظروف والأحداث التى نمر بها تتطلب أن يتنازل كل شخص عن جزء من حقوقه ، وهذا الجزء المتنازل عنه ليس بضائع ، ولكن قد يساعد فى حل الكثير من المشاكل وتجاوز العديد من العقبات ، الرجل يتنازل ، المرأة تتنازل ، ولكن لا يكون هذا بقوة أو بحكم قانون وإنما بمنطق العاطفة والإيثار .

« إن جمهور الفقهاء يرى أن المرأة لا تكلف بخدمة الرجل ! ولكن الأمر ليس

ما يقضى به القانون ، الأمر هنا ما تقضى به مصلحة الشركة القائمة بين مؤمن ومؤمنة ، الأمر هنا محكوم بعاطفة الإيثار لا بشعور الأثرة » المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة ـ الشيخ . محمد الغزالى ص (٣٧) .

فالأمر ليس مشاداة أو معركة ، كل منهما يريد أن يخرج منتصرًا ومعه الغنائم والمكاسب .

أو أن كل منهما يرسم حدودًا على الآخر ألاَّ يتجاوزها .

أو أن كل منهما يفرض فرض وصايته على الآخر .

أو أن أحدهما يريد أن يثأر من الآخر ، أو يؤكد وجوده على حساب الآخر .

العلاقة بين الرجل والمرأة تحكمها وتنظمها وتؤصلها المودة والرحمة .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١] ، ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٢] .

بشرط أن تكون امرأة

بشرط أن تكون امرأة

المرأة أكبر مستغل للرجل :

تنكر المرأة على الرجل كل حق ، وتدعى لنفسها ما ليس لها بحق ، ومن عجيب الأمر ، أن كل حق أعطى للرجل يقابله مسئولية وعبء ثقيل ، وهو فى صميمه تخيف عن المرأة ، فهما - الرجل والمرأة - ككفتى ميزان، الرجحان فى جانب يقابله تهوين فى الجانب الآخر .

المستفيد الأول من كل حق خول للرجل هى المرأة ، وإن كان الأمر فى ظاهره لا ينبئ عن هذا .

يقض مضجعها : فخذ مثلاً أكثر الأمور التى تقض مضجع المرأة حق الرجل فى التزوج بأكثر من امرأة ، فالأمر يبدو فى ظاهره نوعًا من الامتياز للرجل .

والمرأة لم تنظر إلى الأمر إلا من تلك الزاوية ، امتياز له وغبن لها ، لذلك تنكر عليه هذا الحق وتعارضه معارضة شديدة ، وتعمل كل ما فى وسعها كى تجرده من هذا الحق .

أما فى حقيقة الأمر فهو حق يستتبعه عبء ثقيل ومسئولية لازبة ، وفوق هذا مصلحة لبنات جنسها ، فالمرأة لا ينبغى أن تنظر لنفسها بصفة منفردة ، وإنما تنظر إلى وضع المرأة ككل فى المجتمع ، فالمرأة لا توافق أن تتزوج وتدخل فى عصمة رجل متزوج ولها عند ذلك مندوحة ، وإنما وافقت على هذا حينما عزَّ عليها أن تتزوج من رجل لم يسبق له الزواج ، وهذا راجع إلى ظروف كثيرة .

المرأة أول الضحايا :

فقد خول هذا الحق للرجل لجبر وإصلاح ظروف ضحيتها المرأة ، فالحروب وما نتج عنها من ويلات كثيرة ، أول ضحاياها المرأة ، فهى الفاقدة للزوج ، أو الأب ، أو الابن ، أو الأخ ،وكل هؤلاء قد يكونون سندًا للمرأة وحينما تفقد هؤلاء ، فليس أمامها إلا أن تلجأ إلى كنف رجل لا تكون معه الأولى ، وهذا لا يضيرها فى شىء ، وحتى لو فرضنا جدلاً أنها مضارة ، فهو أخف الضررين ،

ثم من قال أن الزوجة الثانية يفرض عليها أهمية من الدرجة الثانية ، ألا يمكن أن تكون بذكائها وحنكتها والأخلاق الراقية التى تتصف بها ألا يمكن بكل هذا أن تكون الأثيرة عند زوجها ، ألا يخلق هذا أمامها سبل المنافسة كى تستحوذ على قلب زوجها ، أم أن الزواج من رجل متزوج سيدخلها فى صراع وفى كفاح ومنافسة ترى أنها فى غنى عنها ؟

فوائد ومصالح التزوج بأكثر من امرأة :

حينما خول الشرع للرجل التزوج بأكثر من امرأة ، كان يضع نصب عينيه الفوائد والمصالح التى سيجلبها هذا التخويل ، أما الأضرار النفسية التى ستصيب المرأة ، فإنه شيء يمكن التغلب عليه بتحكيم العقل والمنطق : « ولا شك أن الجمع بين المرأة العقيم أو المرأة المريضة وبين غيرها أكرم لها وللمجتمع من نبذها فى معترك هذه الدنيا الضروس بغير ولد ، وبغير زوج ، وبغير عاصم ، ثم هو أكرم للزوج نفسه وهو كائن حى يريد أن يصل ما بينه وبين الحياة بذرية صالحة هى الغرض الأكبر من كل زواج ولولاها لانتقص من المجتمع الإنسانى أساس كل زواج .

ولا شك بأن الجمع بين المرأة المزهود فيها وبين زوجة أخرى أكرم وأصلح من الجمع بينهما وبين خليلة أو عدة خليلات . ولا شك أن تسهيل الزواج وبخاصة فى أوقات الحروب التى ينتقص فيها الرجال أكرم للمجتمع الإنسانى وأصلح من تسهيل العلاقات الأخرى التى لا تنفع الأخلاق، ولا ترفع المرأة فى عصمة رجل، أو فى متناول كثير من الرجال » عبقرية محمد ـ الأستاذ . العقاد .

المرأة تجور على الرجل :

ويخالج المرأة فى العصر الحديث غرور من نوع ما ، مفاده : أن حقوق الرجل لا يجب أن ينالها إلا إذا رضيت ووافقت على ذلك ، وأغراها أن تنحو هذا المنحى ، تلك الدعوات المسعورة لتحريرها من قيودها التى كانت ترسف فيها قرونًا ، وتلك المذاهب التى تلهج بمساواتها بالرجل .

ونحن نحمد لتلك الدعوات والمذاهب مبدأها ، ولكننا لا نحمد لها منتهاها،

أو ما تتمنى أن تنتهى إليه .

فقد بدأت بالدعوة إلى أن تنال المرأة حقها ، ثم أصبح هذا الحق حقوقًا ، ثم أعقبتها بدعوة المساواة ، وحينما تحقق لها هذا ، بدأت تقيم من نفسها وصية على الرجل ، وبدأت تعمل على إعادة تقييم لحقوق الرجل ومراجعة لتلك الحقوق ، وكأنها تريد أن تسترد فى سنوات ما فقدته فى قرون ، وهى لا تكتفى بذلك ، بل تريد أن تجور على حقوق الرجل .

طبع المرأة النظر إلى ما فى يد الغير :

وهذا هو دأب وديدن المرأة فى كل أمورها ، تميل إلى المبالغة والشطط، ومجاوزة كل الحدود ، وعدم الاكتفاء بما فى يدها ، بل تتمنى ما ليس فى يدها ، والذى شجعها فى العصر الحديث ـ كما قلت ـ تلك الدعوات والمذاهب ، وأيضًا شىء ساد وانتشر فى الأوساط الفكرية والصحفية هو كتابة ونشر والدعوة إلى كل ما يرضى المرأة وعدم كتابة أو نشر كل ما يجلب غضب المرأة ومقتها ، وأصبح وصف الرجعى والجامد والمتحجر أوصاف جاهزة يوسم بها كل من تسول له نفسه إغضاب المرأة والمتطور والعصرى والمتقدم هو من يحرص على رضا وتدليل المرأة.

مجاملة المرأة على حساب الحقيقة :

وأصبح المجتمع يهلل ويصفق ويبارك من يؤيد المرأة فى كل ما تقوله ، وفى كل ما تطلبه ، وأصبح الكاتبون والدعاة إلى الدعوات والمذاهب يسألون أنفسهم ، قبل أن يواجهوا المجتمع بكتاباتهم : ماذا ستقول المرأة بعد ما تفرغ من قراءة ما كتبناه ؟

هل سيرضيها ؟

هل سنظفر بعبارات الاستحسان والرضا ؟

فإن ظفر الكاتب بعبارات الاستحسان اطمأن ، واستقرت بلابله « إن آداب الأندية يوشك أن تبغى على آداب الكتابة ، ومباحث الفكر ، فيحبس الكاتب قلمه عن كل ما يغضب المرأة ولا يوافق هواها ، كما يحبس لسانه عن ذلك فى أندية الأنس ومجالس السمر ، ويكتب حين يبحث فى مسائل الاجتماع بقلم

السمير الظريف لا بقلم الناقد الأمين ، ولكن الأندية شيء ، وأمانة الكتابة شيء آخر ، لا بل يجب أن نذكر أصل آداب الأندية ، فلا ننسى أن الرجل إنما يخص بالزيادة فى الحفاوة والملاطفة ويحرص على مجاملتها وتقديمها بسبب واحد، وذلك أن الرجل لا يكلف المرأة ما يتكلفه هو ، وأنه يعفيها مما يطالب به أنداده وأكفاءه فى القوة والواجب ولم ذاك ؟ ولا لأنهما متكافآن ولكن ؛ لأنهما غير سواء فى الواجبات والتكاليف وغير سواء فى القوى الجسدية والنفسية » هذه الشجرة ـ الأستاذ . العقاد ص (١٣٣) .

أعدى أعداء المرأة :

وهذا أخطر ما تتعرض له المرأة فى العصر الحديث ، إنها تطلب المزيد من الحرية ، والمزيد من الحقوق ، والمزيد من المساواة ، والذين يسوغون لها هذا هم أعدى أعداء المرأة ؛ لأن كل هذا سيشغلها ويلهيها عن أهم واجباتها ، ويصرفها عن أهم ما يبقى على كيانها كامرأة ويحفظ لها شخصيتها كأنثى .

مغالطة :

وهناك مغالطة تقع فيها المرأة ، ويقع فيها مناصرو قضايا المرأة ـ كما يحبون أن يطلق عليهم ـ فهم يطالبون بالحرية لها ، ويطالبون بالمساواة ، وفى حقيقة الأمر ، المرأة لا فى حاجة إلى حرية ، ولا فى حاجة إلى مساواة .

أما أنها ليست فى حاجة إلى حرية ؛ ذلك لأنها حرة منذ أن ولدت ؛ لأنها قبل كل شيء إنسانة ، وهذا الوصف لا يصدق على مخلوق إلا إذا توافر له وصف الحرية ، فهو وصف بديهى لكل مخلوق ذكرًا كان أم أنثى ، ومفهوم الحرية مفهوم عام فضفاض تحدده وتقننه قيم ومبادئ ، وقبل ذلك الدين الذى يدين به المجتمع .

نموذج المرأة الغربية :

وهؤلاء الذين يدعون إلى تحرر المرأة يضعون نصب أعينهم المرأة الغربية ، فهذا النموذج هو رائدهم ، يريدون من المرأة المسلمة أن تحذو حذوه ، فهم رضوا عن هذا النموذج ، وأعجبهم ، بل خلب ألبابهم من خلال تلك القفزات الواسعة

التى حققتها المرأة الغربية فى جميع المجالات ، وكأن اللحاق بالمرأة الغربية فى مجال التعليم ، والثقافة ، والإنجاز العلمى لا يكون إلا إذا قُلدت فى جميع أحوالها وأطوارها . مع أن فى قرآننا ، وسنتنا ، وتراثنا حضًا على تعليم وتثقيف المرأة ، وما من مجال نبغ فيه الرجل إلا وتجد المرأة لاحقة به ، وقد تتفوق على الرجل فى بعض المجالات ، إذا هيئت لها ما هيئ للرجل من أسباب التعليم والتثقيف .

تاريخ مخجل للمرأة :

أتى حين على المجتمعات الإسلامية لظروف كثيرة ، حُجب التعليم والتثقيف عن المرأة ، أو حجبت المرأة عن أن تنهل من مناهل العلم ، وحرمت مكن التزود بهذا المدد الذى يبرز شخصيتها ومواهبها ، وهذا راجع عن ابتعادنا عن جوهر الدين أو التراث الحضارى والثقافى لأمتنا العربية ، أو الفهم الخاطئ للنصوص فى عصور الانحطاط الفكرى ، أو من خلال التأثر ببعض ثقافات الأمم التى فرضت هيمنتها وسيطرتها على مقدرات الأمة الإسلامية فى بعض الفترات ، أو قل إن شئت هى دعوات مغرضة وجدت من يساندها ويعضدها ليطمس خصيصة عظيمة من خصائص هذا الدين العظيم ، ليحد من انتشاره واتساعه وظهوره على العالمين، من خلال إظهاره بمظهر الحاجب للمرأة ، المزرى بمكانتها ومقامها فى المجتمع ، المانع عنها كل ما من شأنه أن يعزز مكانتها ويرفع من شأنها ، ونجح هؤلاء ـ بما يملكون من وسائل الإعلام ـ أن يوقروا فى الأذهان أن الإسلام هو دين الرجل ، ولا مكان فيه للمرأة ، فهى ترسف فى قيود لا حصر لها ، ولم ينح الرجل منهم ، فهو الفظ الغليظ الخشن الهمجى .

وقاموا بتصدير تلك المفاهيم إلينا ـ وما أكثر ما يصدرون ، وما أكثرها نستورد ـ وقمنا بدورنا بتلقف هذه الدعوات بحسن نية أو بسوء نية لننشرها فى أوساطنا الأدبية والفكرية .

إذن نحن لسنا فى حاجة إلى الاقتداء بنموذج المرأة الغربية ؛ لأن هذا النموذج ـ وأفضل وأشرف وأنقى ـ موجود لدينا منذ زمن نموذج المرأة المتعلمة المثقفة

المتمسكة بكرامتها ودينها ووطنيتها المؤدية دورها على أكمل وجه داخل وخارج بيتها ، وكل ما تريده المرأة موجود فى ديننا وحضارتنا وتراثنا ، كل ما تحتاجه المرأة هو العزيمة والجدية ، وعدم تشتيت الانتباه ، وتضييع الطاقة والجهد ، وأن تحدد هدف تسخر كافة الإمكانيات لتحقيقه .

المرأة تنسلخ من جلدها :

وبالنسبة للمساواة بينها وبين الرجل ، فهى دعوة الغرض منها أن تنسلخ المرأة من جلدها لتصبح مسخًا لا ملامح ولا شكل له .

أما أنها لها حق كما للرجل ، فلا أحد ينكر ذلك ، وأيضًا لها واجب كما للرجل . . وهنا المساواة .

أما أنها تريد تأدية ما يؤديه الرجل من أدوار وأعمال ، فهذا عبث ؛ لأننا بذلك نحكم على ثراء الحياة الإنسانية من كونها رجل وامرأة ، نحكم على هذا الثراء والغنى الناتج عن اختلاف الرجل عن المرأة بالفقر ، بل بالعدم .

لأن ماذا ستسفيد الإنسانية من أن تترك المرأة ما يخصها من أدوار وأعمال تتقنها ؛ لأنها مهيأة لها ، لتمارس أعمالا لا تتقنها ؛ لأنها ليست مهيأة لها . ماذا سنربح غير صورة مكررة وباهتة وفاترة الملامح للرجل ؟!!

وإذا قبلنا أن تؤدى أعمالا ما ، فمن الذى سيؤدى عملها ؟

« ومن خير بنى الإنسان أن يصان لهم هذا التنويع فى الصفات على اختلاف ألوانها وظلالها ودرجاتها وطبقاتها ؛ لأن التنويع زيادة فى ثروة الإحساس ، وزيادة فى ثروة الحياة ، وزيادة فى الأعمال التى تستطاع من كل حالة من هذه الأحوال ، وترتقى إلى غايتها من الإتقان كما يرتقى كل شىء إلى غايته بالتخصص وتوزيع العمل فيه ، وإن الجنس لم يخلق ليزول ويتشابه الجنسان ، ولكنه خلق ليبقى ويتعاون جانبان على إتمام حياة الإنسان » (هذه الشجرة) الأستاذ . العقاد ص (١١٢).

بشرط أن تكون امرأة :

فى إمكانها أن تكون والرجل سواء ، بل تتفوق عليه ، بشرط أن تكون امرأة، ولن يكتب لها النجاح والفوز أبدًا إذا أصبحت صورة باهتة ومقلدة للرجل، فمن خلال التزود بالعلم والثقافة والفقه والجد والجرأة والشجاعة والأخذ بكل ما من شأنه أن يعلو بكونها امرأة ، تستطيع أن تتصدر الحياة فى المجتمع .

فهى مزودة بملكات ومواهب مثل تلك التى زود بها الرجل ، فالله عادل ، وصفة العدل سائرة وموجودة بين الخلائق جميعهم ، وإذا أعطى هذا المخلوق ملكة، زود الآخر بملكة تقابلها ، هذا المبدأ أكثر وضوحًا فى عالم الحيوان والحشرات ، فالتوازن والتعادل هو القانون الأزلى منذ أن خلقت السموات والأرض إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

فكما زود الله الرجل بمواهب وملكات زود أيضًا المرأة بمواهب وملكات تعادل وتوازن مواهب وملكات الرجل ، ولكن مواهب وملكات خاصة بها وبكونها امرأة.

« إن محاولة إزالة الفروق الطبيعية بين الجنسين لون من العبث والتفاوت الذى يستحيل محوه هو التفاوت العلمى ، وما تستند إليه الشخصية الإنسانية من ملكات وقيم » (قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة) الشيخ . محمد الغزالى ص (١٩٤) .

وبقدر اقترابها ومحاولة تقمص مواهب وملكات الرجل بقدر ابتعادها وخسرانها ملكاتها ومواهبها كامرأة ، فهى لن تصل إلى ما يصل إليه الرجل ، بمواهبه الأصيلة ، وفى نفس الوقت تهمل وتضيع مواهبها هباءً وسدى .

« فهن ينبغن فى اقتدارهن على بعض أعمال الرجال ، بمقدار ما ينقص فيهن من صفات الأنوثة لا بمقدار ما يزيد ويفضل عن الحاجة إليه » (هذه الشجرة) الأستاذ . العقاد ص (١١٠).

المرأة والوعى الناقص :

هل الإنسانية فى حاجة إلى جنس آخر من الرجال حتى تقوم المرأة بالتطوع

لتكونه ؟!!

ربما الذى دفعها أن تلهج بطلب المساواة وعى ناقص ، أو ثقافة مبتورة أو دعوات ممجوجة ، أوحت إليها أن الرجل أفضل منها ، أو أنها أقل أفضلية من الرجل ، وهذا راجع إلي ضعف تدينها « إن الإسلام لا يقيـم - فى سياق الفضائـل - وزنا لصفات الذكورة والأنوثة ، فالكل سواء فى العقائد والعبادات والأخلاق ، الكل سواء فى مجال العلم والعمل ، والجد والاجتهاد ، لا خشونة الرجل تهب له فضلا من التقوى ، ولا نعومة المرأة تنقصها حظًا من الإحسـان وفى القـرآن : ﴿ **مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (١٢٣) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا** ﴾ [النساء: ١٢٣، ١٢٤] » المصدر السابق .

أهناك مساواة أكثر من ذلك ؟

ومن الذى قرر المساواة ؟ خالق الذكر والأنثى .

وهناك آيات كثيرة تقرر وتؤكد وتؤصل هذا المعنى .

إذن المساواة أقرها القرآن منذ أربعة عشر قرنًا .

هل تعرف المرأة ذلك يا ترى أم تجهله ؟!

جنة تتحول إلى جهنم

* المرأة سكن للرجل
* العش الهادئ ينقلب إلى جحيم
* المرأة تتفوق فى أمور الغم والعكننة
* المرأة لا تنسى
* أنا لك بالمرصاد أيها الرجل
* المقارنة الرهيبة
* المرأة وتر مشدود دائما

جنة تتحول إلى جهنم

المرأة سكن الرجل :

المرأة سكن للرجل ، ولتأصل تلك الصفات فيها ، فإنها تفيض منها على المكان الذى تتواجد فيه ، فسمى سكنًا ، والمكان الذى تتواجد فيه مشاع فيه الهدوء والسكينة ، والأمن والأنس ، والألفة والسلام ، زد على ذلك روح الجمال الأنثوى الذى يسرى منها وتعبق ما حولها ، فوق كل ذلك أسمى غريزة أودعها الله قلوب خلقه ، نبع الحب والمودة الصافيين ، غريزة الأمومة التى تحتوى وتضم بكل حنو وعطف من يلجأ إلى هذا الحضن الدافئ يلتمس الرأفة والرحمة ليعمر بها جوانب نفسه .

لكل هذا لا غنى للرجل عن المرأة ، ولا غنى له عن السكن .

العش الهادئ ينقلب إلى جحيم :

ولكن هذا العش الهادئ ، قد ينقلب إلى جحيم مضطرب ، وتتحول كل تلك الصفات الجميلة إلى صفات مذمومة ، ويشيع فى هذا المكان النكد والغضب والشجار والخلاف والتدابر والخصام والجدال الذى يقلب الحق باطلاً، وينقلب هذا الكائن اللطيف الظريف الناعم الهادئ إلى غول شرس تصطك المسامع لمجرد سماع صوته وترتعش الأوصال لمرآته ، وتسوخ الأقدام فى الأرض لمجرد الإحساس به ، ولا يفكر الرجل بالعودة إلى البيت إلا بعد أن تغلق كل مقاهى البلد الأبواب فى وجهه ، ويغادره كل صديق ، وتخلو الشوارع من البشر، ويصبح سيرة فى الشوارع فى تلك الساعة المتأخرة شبهة من الشبهات ، حينئذ يفكر بالرجوع إلى البيت مستسلمًا لقدره ، مفوضًا الأمر إلى خالقه ، وقدماه تحمله إلى مصيره المحتوم .

المرأة تتفوق فى أمور الغم والعكننة :

فأمور النكد والغم والعكننة تتفوق المرأة فيها على الرجل ، ولا يستطيع الرجل أن يجاريها فى ذلك .

والسبب فى ذلك يرجع إلى ظاهرة تتميز بها المرأة ، وهى ظاهرة الاجترار أو الاستدعاء ، أو الاسترجاع ، والشيء الطبيعى إننا حينما نقوم باسترجاع ذكريات أو أحداث ماضية ، لا نفرق بين ذكريات سعيدة وأخرى غير ذلك ، فالذكريات تنثال علينا من خزائن الماضى ، وتنهمر كما ينهمر المطر ، وتكون الذكريات المؤلم منها متلبسًا بالسار .

أما المرأة ، فإنها قد مهرت فى استرجاع أحادى الجانب ، ولها قدرة فائقة على تذكر ما يؤلم ويحزن ويغم .. وكأن الذكريات صناديق مغلقة ومعها مفاتيحها ، صناديق الذكريات السعيدة - تخلصت من مفاتيحها بأن ألقتها فى أوسع البحور وأعمقها ، أما مفاتيح الذكريات الحزينة فاحتفظت بمفاتيحها قريبًا من أصابعها .

المرأة لا تنسى :

وهى لا تنسى أخطاء الرجل ، ولا عيوبه ، ولا تلك المواقف التى أساء إليها فيها عن قصد أو غير قصد ، بل تقوم كل حين بتوثيق تلك الأخطاء حتى لا يجرفها النسيان ، فإذا خلتْ إلى نفسها تذكرتْ تلك الذكريـات ، وتبكـى بكـاءً حارًا ، كأن لم يفصل عنها وعن حدوث تلك المواقف سنوات وسنوات !!

ساعدها وعاونها فى ذلك أمران :

الأول : قوة ذاكرتها ودقتها فى تتبع أدق التفصيلات حتى الإشارة والإيماءة والمشاعر والأحاسيس المصاحبة للموقف .

الثانى : اعتقادها أنها الأضعف ، وفى حاجة إلى ما يبدد لها هذا الاعتقاد ، أو يقويها ، ولا يقوى الضعيف مثل أرشيف منظم ومرتب يحصى ويعدد أخطاء القوى ، أو نواحى قصوره ، أو سوء تصرفه فى بعض المواقف ، وتذكيره بكل وقت بتلك الأخطاء .

وكأن لسان حالها يقول : أنا ولو كنت الأضعف إلا أنى أستطيع أن أحيل حياتك إلى جحيم لا يطاق ، وأنت وإن كنت الأقوى فإنى أستطيع أن أحول تلك

القوة إلى ذل وخضوع .

وتستطيع أن تحول أجمل وأبدع الأوقات إلى غم ونكد ، فإذا تذكر الزوج فى ساعة صفاء ذكريات ليلة العمر ، وانتظر أن تشاركه تلك الذكريات الجميلة ، فإذا بملامحها تتغير وتتشنج ، وتذكره أنه لم يقم لها حفلاً يليق بها ، أو أنه لم يقدم لها هدية الزفاف . . . أو . . . أو . . . إلخ وتغيض الفرحة ، ويتبدد السرور ، ويبدأ سيل من اللوم والعتاب ، وأنها صبرت وتحملت تقصيره وفقره ، وبخله ، وأن حظها التعس هو الذى ساقها للارتباط به .

المقارنة الرهيبة :

عدم الرضا عن الأحوال ، والتمرد ، والإحباط ، والاكتئاب ، ظواهر شائعة بين النساء أكثر من الرجال ، والسبب أن المرأة دأبها وديدنها المقارنة بينها وبين من حولها ، وتخرج من تلك المقارنة بمشاعر الغضب والألم والإحباط ، كل هذا يدفعها إلى التمرد ، ولا تجد هناك من تتمرد عليه إلا الرجل .

والمقارنة هنا رهيبة ؛ لأنها تقارن بينها وبين من تتفوق عليها جمالاً ومالاً ومنصبًا وشهرة ، ولو كانت المقارنة بينها وبين من تتفوق هى عليهن لخرجت من خلال ذلك بالرضا والحمد .

ولكن العين دائمًا طامحة إلى الأعلى ، وإلى الأحسن ، وإلى الأفضل ، وأن تكون المرأة متفوقة على من حولها فى كل شىء فهذا محال ؛ لأن الناس درجات، وحكمة الله فى خلقه تقتضى هذا التفاوت ، وهو تفاوت عادل لا يضير ، فكما أن هناك من هو أفضل منى ، أيضًا هناك من أنا أفضل منه ، فهو سلم لى فيه درجة، دونى درجات ، وفوقى درجات ، أما من الذى حدد وقسم لى تلك الدرجة فهو الله . والله بيده أن يوفقنى لأنتقل إلى درجة أعلى ، وليس هناك ما يمنع أن أنزل درجة تبعًا لما يستجد من ظروف وأحوال .

المرأة وتر مشدود دائمًا :

بين واقعها الذى لا ترضى عليه ، وبين ما تطمح إليه ولا تملك الوصول إليه فهى ناقمة على ذلك القصور ، وذلك العجز ، وناقمة قبل ذلك على الرجل ،

على زوجها ؛ لأنها كانت تظن أنه المركب الذى سيعبر بها إلى الضفة الأخرى المشرقة من النهر ، فإذا المركب واقف لا يتحرك إما لعجزه عن الإبحار ، وضعف حيلته ، ولجهله بكيفية السباحة ، أو لعدم هبوب رياح مناسبة تملأ أشرعته ليبحر حيث يشاء لذلك فالمرأة تُحمل الرجل كل ما يحدث لها ، فإذا كانت فقيرة ، فالسبب فقر زوجها ، وإذا كانت شقية فبسبب خيبة زوجها ، وقلة حيلته ، وإذا كانت مريضة فهو الذى سبب لها المرض الجسدى والنفسى بسبب الحرمان الذى تعانيه بسببه .

أسباب الاختلاف بين الرجـل والمـرأة

* مهمة المرأة الحفاظ على النوع البشرى
* الحفاظ على النوع البشرى مقدم على كل اعتبار
* كيانها قائم على النظام والدقة
* ماذا لو حكمت المرأة العالم
* التاريخ يثبت فشل الرجل
* المرأة نظيفة اليد من دماء البشرية

أسباب الاختلاف بين الرجل والمرأة

مهمة المرأة الحفاظ على النوع البشرى :

لا شك أن هناك اختلاف فى الفكر بين الرجل والمرأة ، وهذا الاختلاف لا يلزم أن يكون أحدهما على خطأ والآخر على صواب ، فقد يكونان رغم الاختلاف ـ كليهما على صواب ، ولكن لأن الاختلاف بين الرجل والمرأة ، فلا بد أن يكون هناك مخطئ وآخر مصيب .

والاختلاف بينهما ـ وليس الخلاف ـ مرده اختلاف مهمة كل منهما .

فمهمة المرأة الحفاظ على وجود النوع البشرى ، فهى المكلفة بذلك من حمل وولادة ورضاع ورعاية . . إلخ .

أما الرجل فمهمته الارتقاء بالنوع البشرى من تقدم وتطور وتوفير أسباب الرقى .

وهى الأقدر على تهيئة أسباب الاستقرار والثبات والرعاية لحفظ النوع .

وكلا الأمرين لا غنى لأحدهما عن الآخر ، فلا حفظ للنوع البشرى بدون تقدم وتطور ، فالكائنات التى لم تتطور انقرضت وفنيت وأصبحنا لا نتذكرها إلا ونحن فى متاحف التاريخ الطبيعى ، ولا تقدم وتطور إلا بحفظ النوع البشرى ، وإلا كانت قضية التطور أسطورة مثل تلك الأساطير التى نشاهدها فى الأفلام السينمائية ، أو نقرأ عنها فى قصص لكائنات متطورة غاية التطور ، ولكن لا وجود لها فى الواقع .

ومرد الاختلاف ـ فى الرأى ـ من الرجل والمرأة فى إعطاء الأولوية لمهمة كل منهما .

الحفاظ على النوع البشرى مقدم على أى اعتبار :

فالمرأة ترى أن الحفاظ على النوع مقدم على كل اعتبار ، وإن أى شىء دون ذلك يأتى فى المرتبة الثانية أو الثالثة ، وعلى هذا فكل تفكيرها مسخر لتأدية تلك المهمة ، ونظرها وأفقها مقيدان بتلك الغاية ، لا تعدوها إلى غيرها من الغايات

لأن كل طاقاتها مستنفدة لتحقيق أسمى غاية فى الوجود ، وهى ناجحة بلا شك فى تلك الأعمال المتصلة بسبب من الأسباب بمهمتها الأصلية مثل التمريض أو الأعمال المتصلة بالحمل والولادة والرضاع وتربية الأطفال والتدريس ، والأعمال التى تقوم على النظام والدقة ؛ لأن كل شىء فى كيانها قائم على النظام والدقة فالدورة فى وقت منتظم ، وكذلك شهور الحمل ومعياد الولادة وإرضاع الطفل ونومه . . . كل شىء يسير وفق نظام محدد لم تبتدعه المرأة ولم تخترعه ، ولا تستطيع تغييره أو تبديله ، وإنها هى فى أسره ومسيره شاءت أم أبت .

ماذا لو حكمت المرأة العالم ؟

لو أُعطيت المرأة مقاليد الحكم والتصرف فى شئون العالم ، وأصبحت المتربعة فوق هذا العرش ، لاختفت الحروب والمنازعات بين الدول والشعوب ، وإذا حدث ولاحت بوادر حرب ، لاجتمعن ـ الزعيمات ـ فى مبنى الأمم المتحدة للنظر فى أمر الحرب ، وبعد أيام أو أسابيع فى مناقشة أمور الأطعمة والحلويات والأزياء وأسعار الذهب والعطور ، ومشاكل الأبناء والأحفاد ، والتحدث فى الأحوال المتقلبة للرجال ، سيصلن فى النهاية إلى قرار ألا وهو تأجيل الحروب فى جميع أنحاء العالم حتى تضع كل ذات حمل حملها ، ولن تأتى لحظة على البشرية تتوقف فيها النساء عن الحمل والولادة ، إذن لن تأتى لحظة على البشرية تنشب فيها حرب .

ذلك ؛ لأن المرأة ستنظر إلى ما يهدد البشرية ، وستسأل نفسها : أيهما أفضل أن يتجرع أحد الساسة الأغبياء إهانته ويشرب عليها كوبًا من الماء البارد ، أم تفنى ملايين النفوس ؟!

أيهما أفضل أن يتنازل شعب أو دولة عن إقليم أو قطعة أرض مشكوك فى أمر ملكيتها ، أم تضيع آلاف الأرواح من زهرة الشباب ؟!

إن أغلب الحروب التى حدثت وحصدت ملايين النفوس كانت نتيجة لحظة ضعف ، أو لحظة غرور ، أو لحظة غباء أجوف ، أو لحظة نام فيها العقل ، واستيقظت فيها شياطين الطمع والشره وظلت ـ بعد ذلك ـ البشرية تتجرع كؤوس

الندم ، ولات حين مندم .

التاريخ يثبت فشل الرجل :

معظم الحروب إن لم يكن كلها المسئول عنها الرجل ، فالذى خطط للحرب هو الرجل ، والذى نفذ الرجل ، والذى انتصر أو انهزم الرجل لذا ، فالتاريخ يثبت فشل الرجل فى قيادة العالم ، فالحروب والمنازعات والمجاعات والظلم المنتشر فى أنحاء العالم على مر العصور لهو دليل عى قصور وعجز الرجل ، والتجربة والتاريخ يثبتان هذا .

أما بالنسبة للمرأة ، فالتاريخ يقف محايدًا ، لا ينفى ولا يثبت .

ولكن عدم تورطها ـ تاريخيًّا ـ مع الرجل فيما فعله دليل واضح على ذكائها، فقد وقفت لتشاهد ما يفعله الرجل ، واكتفت بذلك رغم أنها تحملت الكثير لكنه تحمل المضطر الذى ليس له من الأمر شىء .

المرأة نظيفة اليد من دماء البشرية :

وإذا أيدت حربًا ، أو أمرت بشن حرب ، فإنها تكون قد فعلت ذلك إما نزولاً على رغبة ورأى الرجل ، أو لأنها تبنت فكر الرجل ورؤيته لتثبت للآخرين إنها لا تقل صلاحية عن الرجل ، فاتخذت أخطر قرار يتخذه الرجل ، ولكن لو خلت إلى نفسها لاختارت السلامة على الردى .

وأمر (بلقيس) واضح فى القرآن الكريم ، فحينما أرسل إليها نبى الله (سليمان) كتابًا يطلب فيه الإتيان والإسلام ، كان ردها بعد أن اجتمعت بقوادها: ﴿ **قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ** ﴾ [النمل: ٣٣ ـ ٣٥] .

تصرف فى غاية الحكمة ، لا انفراد بالرأى ، ولا تسرع فى اتخاذ القرار ، وإنما تأن وتريث ونظر فى عواقب الأمور وعدم التفكير فى الحرب ، مع أن

مسوغات الحرب متوافرة ومعروضة أمامها ، كما جاء فى تفسير (الوسيط) ص(١٦٧٩) ردًا على سؤالها كما جاء على لسان قوادها : « قالوا : نحن أصحاب قوة فائقة، فى العدد والعدة ، وأصحاب شدة وبلاء فى الحرب لا ترهبنا قوة ، ولا ينهنها وعيد وهذا دورنا وهذه مهمتنا ، وأما البت فى الأمور فهذا موكول إليك تقتضين منه ما تشائين وسلمًا وحربًا ، ذلك علينا الطاعة فى كل ما تريدين وما تأمرين ، فانظرى أى شىء ترنيه وتأمرين به نكن فى طاعتك » .

فهم يدفعونها بطريق غير مباشر إلى إعلان الحرب ، ولم تنظر إلى أفضل الاحتمالين ، ولكن نظرت وقدرت أسوأ الاحتمالين وهى الهزيمة ، ودخول الملك القرية ، والإفساد والدمار والهلاك . واختارت طريق الدبلوماسية ، ودعامتها الحكمة والعقل . كان ردها إرسال هدية ، وتلك نقلة أخرى فى التفكير والتصرف لا إعلان حرب ولا استسلام ، تفكير وتصرف يتسق مع طبيعة المرأة الموكول إليها حفظ النوع .

وبعد أن ترسل هدية تنظر الرد ، فربما تكون الهدية بداية طريق وليست نهاية، بداية طريق السلام والأمن والحب .

ولو كان الرجل مكان (بلقيس) لما فكر هذا التفكير ، ولأعلن الحرب على الفور ، وعلى أقل تقدير لأغلظ فى الرد ، أو تعددت الأفعال والتصرفات إلا أن يرسل هدية !!

فالكبرياء والغرور يمنعانه عن ذلك .

وهنا يتجسد ذكاء وكياسة وبعد نظر وصواب رأى المرأة .

المحتويات


مطابع وسط الدلتا
المنصورة ٢٢٢٣٨٦٧ / ٠٥٠